

قَدَرِي حَافِظ طُوقَان

بعد النكبة

دار العلم للملايين

بيروت

2276
911
313

2276.911.313

Tuqan

Ba'd al-nakbah

DATE

ISSUED TO

DATE ISSUED

DATE DUE

DATE ISSUED

DATE DUE

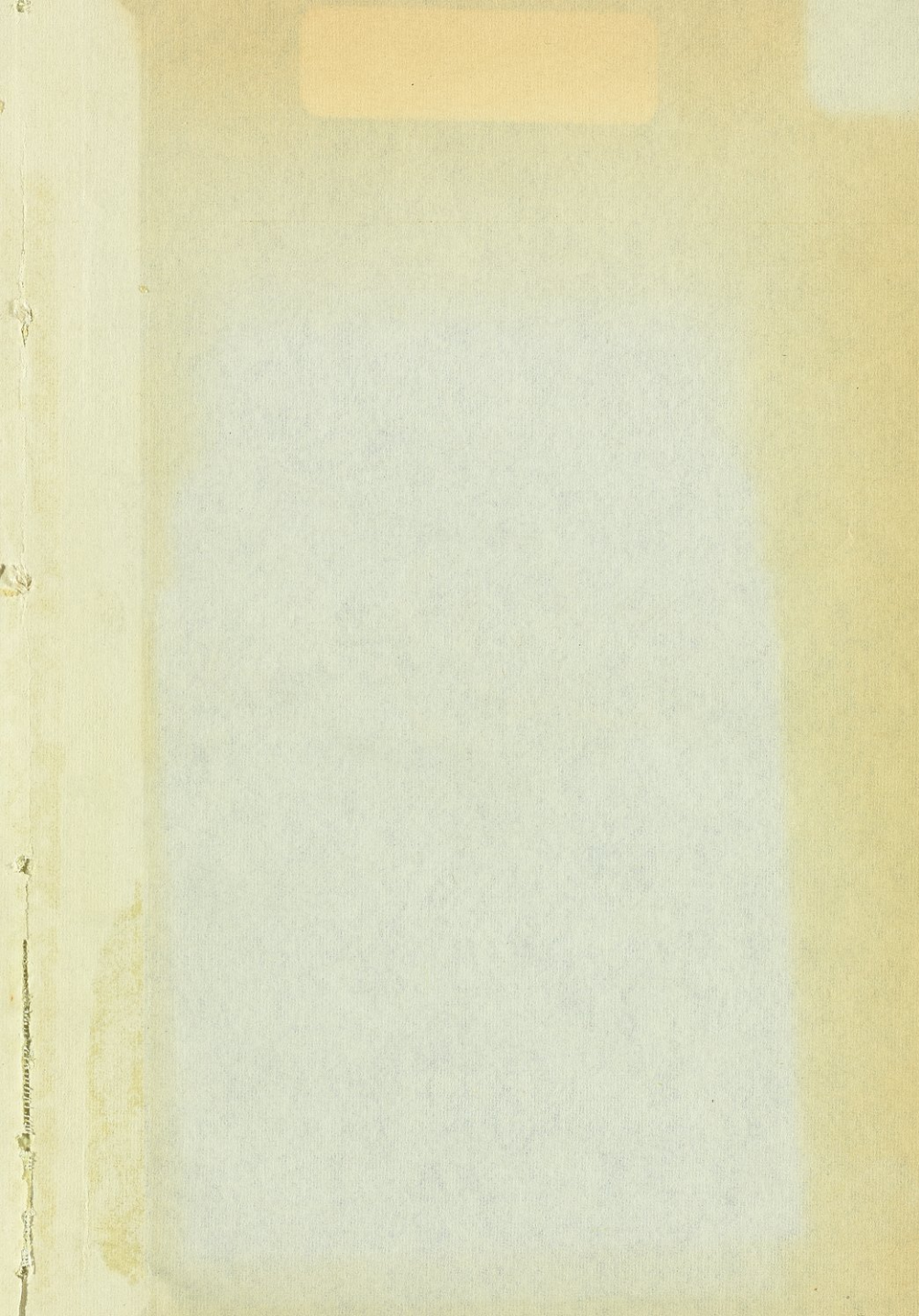
JUN 24

JUN 1 2012

Princeton University Library



32101 072245051



ماجد فرحان سعيد

٣ / شباط / ١٤٥٠

قَدْرِي حَافِظ طَوْقَان

Tūqān, Qadrī Ḥāfiẓ

بَعْدَ النُّكْبَةِ

Ba'd al-nukbat

دار العلم للملايين

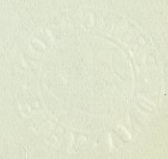
بيروت



مكتبة جامعة القاهرة

حقوق الطبع محفوظة المؤلف

كانون الثاني ١٩٥٠



هذا الكتاب

يتناول هذا الكتاب كارثة فلسطين وعواملها واسبابها والاساليب التي اتبعها العرب في سائر ديارهم في الكفاح ومقاومة الاستعمار والصهيونية . تلك الاساليب التي جعلت هزيمة العرب اجمعين في فلسطين نتيجة حتمية لها.

كما يتناول الكتاب الأركان التي يجب ان تقوم عليها مناهج التربية والخطوط العريضة التي يتحتم ان تسير عليها برامج التعليم في البلاد العربية مما يؤدي الى التقدم المستمر والنمو المتصل ويدفع الى التحرر من التقيد بالاغراض المألوفة ومقاييس الماضي لينشأ جيل بعقلية تطلعية يؤمن بالتقدم والاسلوب العلمي والرقم ورسالته في الحياة وقابلياته في الانتاج والابداع .

وغاية ما ارجوه ان يخرج القارئ العربي من هذا الكتاب وقد ادرك ان لا خلاص للعرب الا بالعلم واساليبه ولا كيان لهم الا اذا ساءروا الحضارة في ركبها وسلموا زمام امورهم لعقليات علمية تقدر أهمية العلم والتنظيم والرقم .

فدري حافظ طوقاه

نابلس

2276

911

313

9-2-57

11.5.57

11.5.57

and then

and then the first of the yellow
and the first of the yellow
and the first of the yellow
and the first of the yellow

and the first of the yellow
and the first of the yellow
and the first of the yellow
and the first of the yellow
and the first of the yellow
and the first of the yellow
and the first of the yellow
and the first of the yellow

and the first of the yellow
and the first of the yellow
and the first of the yellow
and the first of the yellow
and the first of the yellow
and the first of the yellow
and the first of the yellow
and the first of the yellow

and the first of the yellow
and the first of the yellow

حول عدم صلاحية العرب للحياة

ان الكارثة التي حلت بالأمة العربية في فلسطين ، جعلت
الكثيرين من الشباب والشيوخ ينظرون الى بني قومهم (العرب)
نظرات قائمة من زوايا التشاؤم والقنوط ، ومن خلال غيوم اليأس
والخمول . فبدا الحاضر مظلماً يحفل بالمصائب والخطوب ، والمستقبل
حالكاً ينفذ بالفواجع والكروب . وتسرب الشك الى النفوس ،
فاعتلاها ، فساء الخلق وانتشرت فوضاه ، وغمرت الناس امواج من
المتاعب والصعاب ، اضعفت ايمانهم بتاريخهم وتراثهم ، وزعزعت
ثقتهم بأنفسهم ، فلا أمل لهم في الحياة ولا رجاء معها . وصاروا
يرون العرب في تاريخهم وماضيهم من ثنايا المآسي والنكبات ، فاذا
هو خال من المكرمات ، مليء بالحروب والمنازعات ، اقوياء وهم
ظالمون اشداء ، وضعفاؤهم مستعبدون أذلاء . ثم جاءوا الى الحاضر ،
فاذا العرب يتأخرون ، واذا ركب الحضارة يسبقهم قروناً عديدة .

أين (العرب) من امم العالم في العلوم والفنون ، في التجارة والصناعة ، في الهندسة وال عمران . واين العرب من امم الغرب في المعنويات والأخلاق القومية ، والشعور بالمسؤولية تجاه المجموع . فكان من ذلك ان وقف العرب جامدين امام الأحداث ، لم يراعوا روح العصر ، ولم يسيروا على هدى العلم في روحه واسلوبه ، فكان تقهقرهم وتراجعهم ، فاستهان الأعداء بهم وغلبوهم ، وهم يحاولون القضاء عليهم بأسلحة الخلق والعلم والتنظيم ونحن نقاومهم بأسلحة الجهل والفضى والغرور . فلا عجب اذن ان تسود فكرة عند الكثيرين ، وهي ان العرب لا يصلحون للحياة ، وانهم ليسوا أهلاً لتحمل اعبائها ومسؤولياتها ، وانهم يعيشون على هامشها ، وقد تخلفوا عن ركب الحضارة لاهين بالسفساف والاختلافات ، بينما سار الناس في سائر الديار في ركب الانسانية جاذين منتجين ، فورثوا الأرض وما عليها من خيرات وما فيها من كنوز ، فأتوا بالعجب العجيب ، وبالسحر يخلب الألباب .

ولكن مهلاً ، فالعرب كسائر الامم فيهم قابلية التقدم والارتقاء ، لا يفضلهم شعب ولا يتميز عليهم عنصر . وان ما اصابهم من التمول والجود طبيعي ليس فيه ما يثير الدهشة والعجب اذا ما استعرضنا تاريخهم والاضاع التي كانوا عليها . لقد رزح

العرب تحت النير التركي خمسة قرون ، و رزح بعض اقطارهم تحت
الضغط الاوروبي عشرات السنين ، كما لا يزال بعضها الآخر يرزح
تحت الاستعمار ، فليس من الطبيعي اذن ان يكون اندفاع العرب في
ركب الحضارة بالقوة التي نراها عند امم الغرب ، ذلك لأن العقلية
العربية لا تزال تعاني من آثار ذاك الضغط وذاك الاستعمار ، وهي
بحاجة الى بعض الوقت لتتخلص من القيود والسدود، وحينئذ يكون
في مقدورها الانطلاق والتحرر والانتاج . وعلى هذا فان تحلف
العرب عن السير في ركب الحضارة ، هو في الواقع من آثار
الاستعمارين التركي والاوروبي ، ونتيجة حتمية لأساليبها وضغطهما .
وعلينا ان نكون منصفين فلا ننتظر من العرب ان يكون تطور
العقلية عندهم فعالا ومنتجا كالتطور الذي اصاب العقلية الاوروبية
فجعلها تسبق العرب في ميادين الحضارة والعمران بمراحل عديدة .
اما ما يدعيه بعضهم من ان سبق الغرب للعرب يعود الى ان
العرب ساميون ليس فيهم قابلية الابتكار والارتقاء مثل الآريين ،
فهذا رأي سخي فثبت بطلانه وفساده ، لا يقره العلم ولا يأخذه ،
وقد نبذه العلماء واعتبروه من اضاليل الفكر البشري . ولا يتسع
المجال هنا لاستعراض آراء كبار الباحثين والمفكرين في نظرية
الآرية والسامية ، ولكن يمكن القول انهم توصلوا فيها الى «... ان

ارجاع الفروق التي تشاهد بين الاقوام الى اختلاف اجناسها وعروقها،
والقول ان الاجناس البشرية يمتاز بعضها عن بعض باوصاف فطرية
وراثية ، مما لا يقره العلم الحديث بوجه من الوجوه ، وهو خرافة
يجب نبذها وعدم الأخذ بها . »

ونرجع الآن الى ما يقوله بعض المتشائمين من ان تاريخ العرب
مليء بالمآسي والحروب والاختلافات ، وليس فيه ما يستحق
التمجيد والاستلham .

ان تاريخ الأمم يتألف من ادوار ارتقاء وادوار انحطاط ،
وفيهما من الصفحات ما هي سوداء ، ومن الصفحات ما هي لامعة
حافلة بالأعجاز . فليس من الانصاف ان ينظر بعض شباب العرب
الى تاريخهم من ناحية ضيقة واحدة غير معتبرين النواحي الأخرى .
انهم يقولون : وهل لنا تاريخ نعز به ؟ وهل كان مجيداً ؟ ألم
يكن التاريخ العربي حافلاً بالحروب والفتوحات والمخاصمات
والمنازعات بين الخلفاء والامراء ورجال الحكم ؟ ويستمررون في
استخراج امثال هذه الآراء والأحكام ، مما يثبط العزائم ويدفع الى
اليأس والقنوط .

قد يكون لهؤلاء المتشائمين بعض العذر في ان يخرجوا من
صفحات تاريخهم بما خرجوا منه ، ذلك لأن العرب لم يحسنوا عرض

تاريخهم ولم يسيروا في وضعه على أسس علمية وخطط تربوية وتوجيه قومي ؛ فجاء (تاريخاً هزياً) بالنسبة الى التواريخ الغربية التي أحسن المؤلفون الغربيون عرضها وترتيبها وإبرازها . انما لا نزال نكتب تاريخنا بأسلوب قديم وعلى نمط سخيخ خال من التوجيه .

فتاريخنا هو تاريخ رجال الحكم والامراء والوزراء والقواد العسكريين ، وهو استعراض لفتوحاتهم ومنازعاتهم ، وقد دون بطرق ملتوية مشوهة ، لا يعنى الا بتفصيل الوقائع والحروب والمآسي التي يجب ان تترك للكتب الموسعة لرجال البحث والاختصاص ، لا ان تكون في الكتب العامة والمدرسية التي تقع دائماً تحت نظر الأكثرية الساحقة من الأمة .

والواقع اننا لم نحسن عرض تاريخنا ، ولم يتوفق العرب في جعل صفحاته اللامعة سهلة التناول بسبب الاسلوب السقيم الذي سار عليه المؤلفون ، فلم يكن هناك سياسة توجيهية ، ولا نزعة قومية تسيطر على وضع الكتب والرسائل .

ومن يدرس تاريخ الأمم الأخرى بشيء من التوسع ، ويرجع الى المصادر المفصلة واراد ان يكتب هذا التاريخ على النمط الذي كتب فيه تاريخنا ، وبالاسلوب ذاته لتجلى ان تاريخنا من احسن

التواريخ ، ولتغيرت نظرة الناس الى تاريخ تلك الأمم ، وتبين الفرق العظيم بين تراثنا وتراثهم .

يجب ان تتغير طرق التدوين التي يسير عليها العرب في كتبهم الحديثة ، وان تترك الوثائق والمنازعات ، ويلتفت الى نواح اخرى تتعلق بالحضارة والاجتماع والثقافة والتربية ، وأثر العرب فيها وخدماتهم لها .

يقول بعض الناس ان اكثر علماء العرب وشعرائهم وادباءهم لم يكونوا من أصل عربي ، وما دروا ان المهم في هذا الشأن هو البيئة والتربية والثقافة واللغة ، لا الدم والأصل والنسل .

ومن الملاحظ ان اكثر الكتب التاريخية التي تقع بين ايدي الطلاب ، حين تذكر تراجم العلماء والادباء ورجال الفكر ، تتوسع في ذكر أصلهم ونسبهم وحياتهم الخاصة ، مع أن الكتب الأجنبية لا تعير أي اهتمام لهذه النواحي ، بل توجه اهتمامها الى ما أثرهم الحقيقية وتراثهم وأثرهم في تقدم الحضارة والعمران .

ولو استعرضنا تواريخ الأمم في أوربا وغيرها من الكتب التي تتوسع في البحث ، والمصادر التفصيلية التي تهتم المختصين ، لوجدنا انواعاً من المآسي والنكبات لا تقل عن التي نجدها في تاريخنا ، وفي كثير من الحالات انواعاً من الخازي والمآسي لا نجد مثيلاً لها . لكنهم

عرفوا كيف يبرزون تاريخهم لناشئتهم والناس ، فألبسوه لباساً قومياً ، وعرضوه على أسس تريبوية مما يدعم الثقة ويقوي الايمان ، وتاريخنا حافل بالحوادث الجيدة والصفحات اللامعة ، ولكن تنقصها الطريقة العالمية والاسلوب التريبوي والتوجيه القومي كما يقول الاستاذ ساطع الحصري .

والآن ، وبعد ان وقعت الكارثة على العرب أجمعين ، فان في احداثها ومآسيها بداية لتحول خطير في الاتجاهات والاندفاعات ، وفعلاً بدأ هذا التحول يبدو للعيان في استفاقة العرب من هجعتهم ونهوضهم من كبوتهم . فاذا الدعوة الى الأخذ بأساليب الغرب تجري في طريقها على الرغم من المصاعب والعقبات ، وتتجه اتجاهاً سليماً ، ولسنا بحاجة الى القول ان هذه الدعوة لا تكون مثمرة ما لم تبني على أسس قومية وتسير في طرق تضمن لها الاستمرار والاندفاع ، وليس أضمن لهذا كله من استنطاق الماضي بعد وضعه بعقلية غربية ، ونزعة قومية ، واستلهامه عزماً وقوة ، لا مباهاة وفخراً ، ومن معرفة الحاضر واشباعه درساً وفحصاً ، ومن النظر الى المستقبل بعين الرجاء والأمل . اما الماضي ففيه كل ما يعتز به العربي ويفخر ، وفيه كل ما يوحى بالاعتماد على النفس والثقة بها ، هذا اذا احسن عرضه وابرزه .

واما الحاضر ، فهو الصرح الذي يبنى عليه المستقبل ، ولذا وجب

على العرب ان يتبصروا فيه كل التبصر ، وان يتفهموا مشاكله في
انفسهم ووجودهم ، وان يكون من وعيهم ما يثيرهم ويدفعهم الى
الامام والسير في ركب الحضارة .

ان اكبر جناية يقتربها المثقون والمتعلمون في هذه الايام ، ان
يستسلموا الى القنوط واليأس من كثرة المشاكل والمآسي المحيطة
ببلادهم وبني قومهم .

ان الصعاب والمشاكل تحيط كل نهضة ، وتعترض كل حركة
ترمي الى التقدم ، فعلى الشباب ان لا تشيهم المتاعب والنكبات عن
عزمهم في تحرير بلادهم والنهوض بها . على الشباب ان يدركوا ان
قومهم ليسوا الوحيدين في مجابهة الصعاب والمآسي ، فكل امة نهضت
جابهت ما يجابهه العرب الآن من العقبات ، ولكنها تغلبت عليها
واجتازتها بالعزيمة والارادة والايمان .

وفي امكان العرب اذا عزموا وارادوا ان يجتازوا عقباتهم
ويقتحموا الصعاب ، ذلك لانهم (كغيرهم من الأمم) من الكائنات
الطبيعية الحية تكمن فيها القابلية للحياة والقوة لاداء رسالتها .

ليست المشاكل والموانع بشيء اذا ما آمن العرب بحقهم في
الحياة والتقدم . لذاوجب على العرب أن لا يفرغوا من هول النكبات
المنصبة عليهم وان لا يعتريهم هلع من المصاعب المحيطة بهم . وعليهم

ان يؤمنوا بقابليتهم للحياة وصلاحياتهم لأداء رسالتها ، وان يثقوا
بأنفسهم وحيويتهم . وبذلك تتلاشى الصعاب ، وتزول المشاكل
والعقبات امام الارادة والثقة والايمن .

هذا هو طريق الخلاص ، الطريق المؤدي الى انقاذ العرب من
ورطتهم الكبرى وكارثتهم العظمى . وهذا هو طريق النهوض والتقدم
في معارج الحضارة والمجد والخلود ...

العرب

بين الغرور والشعور بالنقص

لا اقصد من هذا الفصل التعريض باحد من الناس ، او التشهير
بجماعة من الجماعات ، لكنني اقصد عرض ناحية هامة تتعلق بتفكيرنا
من جهة عامة ، وعدم نضجنا ، ونقد انفسنا ، والعقلية التي تسيطر
على اعمال المسؤولين والرؤساء . واني لا أرى مانعاً يحول دون هذا
العرض ، بل أشعر بقوة تدفعني الى شرحه وتبليانه ، ذلك لأن نقد
النفس اول مراتب الاصلاح ، كما يقول علماء الاجتماع . واني اذهب
بعيداً فأقرر ان واجب المتعلمين والمثقفين وحملة الاقلام ان يشرحوا
لبنی قومهم الاوضاع والحال التي وصل اليها العرب على اسس من
النقد النزيه ، وبأفق واسع وعقلية علمية ، ليتمكن العرب من
تدارك اخطائهم وتلافي اغلاطهم ، والنهوض من كبوتهم ، لا سيما
وهم في بداية يقظتهم وعلى عتبة الحضارة .

كنت منذ اربع سنين في زيارة صديق وقد تناولت كتيباً من

على مكتبه وبدأت أتصفح ، فجذبني ما فيه من كلمات وافكار .
ومضيت أتابع قراءته ، فتبادر الى ذهني اني اقرأ خطاباً لآحد رؤساء
الدول العظمى ، لما تضمنه من بيانات حاسمة ، واصلاحات واسعة ،
ومنهاج عريض ، واعتزاز بالمقام الدولي الذي تتمتع به حكومته
وأتمته . وقد لفت نظري جملة تتعلق بالطاقة الذرية ، وهي ان
حكومته قد سيطرت على لجنة الطاقة الذرية ، وبعد ان أتمت
القراءة رجعت الى العنوان على الغلاف استطاع اسم محرر الخطاب
الجامع ، وكم كانت دهشتي عظيمة حين وجدت ان صاحب الخطاب
(كان مسؤولاً كبيراً في احدى الدول العربية) .

لقد كانت مفاجأة لكنها مؤلمة ، اذ اقامت الدليل على ان العرب
لا يزالون يعنون بالقشور دون اللباب ، وانهم بعيدون عن الحقائق ،
وقد اساءوا تقديرها وفهمها . ولا أدري كيف سمح ذلك المسؤول لقلمه
ان يخط بان حكومته قد سيطرت على لجنة الطاقة الذرية ، وليس
في ملايين العرب من يعرف شيئاً عن صنعها وعملها .

وهل وجود عضو عربي في لجنة تبحث في تحريم استعمال الطاقة
الذرية وعدم استعمال المواد الخام التي تصنع منها القنبلة الذرية يعني
السيطرة ؟ أليس في هذا الادعاء مجال لسخرية الأجانب ، واستهتار
بالعقول والناس ؟ لكنه الغرور طغى على العقل فاضطرب التفكير .

ومن الغريب ان لا يقتصر هذا الغرور على مسؤول واحد بل يتعداه الى مسؤولين آخرين يشغلون مراكز عالية ، لا ادري اين يضعون عقولهم حين يصرحون ويخطبون ويقررون .

قال احدهم ، وهو من اصحاب المسؤوليات الجسام في العالم العربي ، ان الدول العربية اخذت من القرارات ما يهز العالم هزاً ، وسنري العالم المدهشات !

فما هو هذا القرار الذي سيخرج المدهشات ؟ انه في الكارثة التي حلت بفلسطين والتي هزت العرب هزاً كاد يفقدهم ثقتهم بانفسهم ، ويزعزع ايمانهم بقابليتهم وحيويتهم .

اذا كان هذا ما يعني فقد اصاب ، فالهزة وقعت وقد اوشكت ان تقضي على الكيان ، والتي ان لم يتداركها العرب بالحكمة والتنظيم والعمل فستكون من عوامل زوالهم ومحوهم كأمة من الوجود .

ومن يدرس الاوضاع في مختلف الجهات يجد ان المسؤولين والرؤساء يكتفون بالمظاهر ، وان عضوية اللجان الدولية والاشتراك في المؤتمرات العالمية كافية (في نظرهم) لان تجعل الأمة او الحكومة ذات كيان دولي محترم .

وما أبرع العرب في الشكليات ، وما اكثر اهتمامهم بالقشور .. وقد يكون هذا من ثمار مركب العظمة عندهم ، الناتج من جهلهم

بالاصول التي تقوم عليها الحضارة الاوروبية ، وطفولة في التفكير
وسوء فهم للتطور الذي اصاب العقل الانساني .

ولا نزال نذكر الحفلة الكبرى التي اقامها مندوبو احدى
الدول العربية في سان فرانسيسكو ، والتي كانت من اروع الحفلات
وأبهاها ، قد أنفق عليها من المبالغ ما يكفي لبناء مدرسة او مستشفى
وقد فرحنا بالغاية التي وصلنا اليها ، فمدحت الصحف تلك الحفلة ،
وعلقت عليها بانها من حفلات الخيال التي وردت في ألف ليلة وليلة!
ألم يقل المارشال مونتميري ان العرب لا يعتمد عليهم في
الشدائد ، وهم لا يتقنون الا الولاأم واقامة الحفلات . وهو محق في
ما ذهب اليه ، فقد عاش في الاقطار العربية متنقلاً في ربوعها ،
واتصل بالعرب من قادة وسياسيين واعيان ، وخرج من اتصالاته
بان العرب لا يعنون الا بالقشور والمظاهر ولا يخفى ان هذا في الميزان
الدولي والعالمي لا يساوي شيئاً ، بل هو من العوامل التي تجعل الغرب
يستهتر بنا ويدفعه الى مهاجمتنا واستعمارنا واستغلال كنوزنا وخيراتنا.
واخشى ان يسيء القراء الفهم ، فتذهب ظنونهم الى اني ادعو
العرب الى عدم الاشتراك في المؤتمرات او الاحجام عن اقامة الولاأم
والحفلات . انا لا ادعو الى ذلك ولا اقول به ، لكن اقول ان لا
يسيروا في هذه المظاهر الى الحد الذي يبهط ميزانية الدولة ، وان لا

يكون ذلك على حساب مشاريع الإصلاح والعمران .
وليس الامر مقصوراً على ما ذكرنا فان في تصرفات الافراد
والمسؤولين في سائر نواحي نشاطهم واتجاهاتهم ما يدل على ان
الشعور بالعظمة كان متغلغلاً عند العرب ، مما كان له اكبر الاثر في ما
اصابهم من استكانة وجمود .

ان هذا الشعور قد حجب عن أعين العرب الحقائق ، فلم
يدرکوا قوى الاعداء ولم يخفلوا بروح العصر وقيمة الاساليب العلمية
والتنظيم ، فكان التراجع امام الاعداء وكانت الكارثة التي اصابته
العرب اجمعين في شرفهم وكرامتهم وكيانهم .

وهنا بدأ التحول الخطير في الشعور والاتجاه عند العرب ، اذ
انقلب ذلك الشعور بالعظمة الى نقيضه ، ولكن بصورة مفزعة
تنذر بالعواقب الوخيمة ، فالعرب اذن لا شيء ولا قيمة لهم . كيف
تكون لهم قيمة او وزن وقد هزموا في ميادين المادة والمعنويات .
ومن الطبيعي ان يسود الاعتقاد بعدم القابلية ، والشك في امكانية
الحياة والحفاظة على الكيان . واصبح العرب يتلمسون الاخطار
المحدقة بهم ، ويرون فيها تهديداً مباشراً لهم . والذي اخشاه انه
اذا استمر حال العرب في شعورهم بالنقص والضعفة ، ونما هذا
الشعور ، فسيؤدي ذلك الى انعكاس العرب وانكماشهم على انفسهم ،

وانعزلهم عن العالم ، وفي هذا ما فيه من تعطيل لمواهبهم وايقاف
انموهم فيصبحون امة تعيش على هامش الحياة ، ومن الجماعات
المتأخرة ، لا رجاء فيها ولا رسالة لها .

والذي نرجوه ونأمل ان يستغل المفكرون والمسؤولون هذا
الشعور بالنقص عند بني قومهم ، فيعملوا على اثارته وحفزهم الى
مقاومة هذا النقص بالعزيمة والعمل وشحذ الهمم ، وعدم الوقوف ،
والاندفاع في التقدم والأخذ باسباب الحضارة .

لقد وقع العرب بين شعورين ، شعور بالعظمة ، ادى الى الغرور ،
واعماهم عن الحقائق واضلهم السبيل ، حتى اذا وقعت الكارثة عليهم
انقلب ذلك الشعور الى شعور مناقض ، وهو الشعور بالنقص ،
فترزع ايمانهم بانفسهم وتاريخهم وقومهم ، وشكوا في قابليتهم
وامكانية بقائهم كأمة حية ذات مقومات وكيان .

وهنا يأتي واجب رجال الفكر والمسؤولين واصحاب الاعلام في
التعاون على شرح اسباب الكارثة وعوامل انقسام العرب وتأخرهم عن
ركب الانسانية ، وفي تهيئة الوسائل للاستفادة من الاوضاع والتاريخ
الماضي الحافل بالماثر والامجاد والحاضر المليء بالكوارث والمآسي .
ان واجب رجال الفكر ان يجعلوا من تراث العرب وامجادهم
قوة تدفع العرب الى التقدم والأخذ باساليب الغرب في الحياة وعليهم ان

يتنبهوا حين يعرضون تاريخهم وتراثهم ، فما يكون لهم ان يعتبروا الماضي
الهدف الذي تتوجه اليه كما يريد بعض الناس من الرجعيين ، ففي ذلك من
الخطر ما فيه على نهضة الامة ، بل عليهم ان يجعلوا من التاريخ العربي
قوة محرّكة الى الامام ونقطة ارتكاز تساعد على التقدم والارتقاء .

على رجال الفكر وحملة الاقلام ، ان يعرفوا الناس بعيوبهم
ونقائصهم وان يبرزوا الى بني قومهم نقط الضعف والعوامل التي
ادت الى تأخرهم وتقاعسهم عن الأمم الأخرى في السير الى الأمام .
وعلى هؤلاء ان لا يتهاونوا في نضالهم في هذا السبيل ، فهو الطريق
المؤدي الى اصلاح العرب وحفز همهم للنهوض والوثوب .

وعلى المثقفين واصحاب العقول النيرة تبعات جسام في العمل
على زرع الأمل في النفوس وتقوية الايمان بالحياة والقابلية ، وتطهير
القلوب من الخمول والقنوط .

واختم كلامي بان حياة العرب في هذا العالم ، يجب ان ترتبط
بشيء عظيم ، وهل من شيء ، في هذه الايام الخالكات ، أعظم من
خلاص الوطن وانقاذ البلاد ، والسير بها في ركب الحضارة مع
العاملين المنتجين . فلنربط هذه الحياة بخلاص البلاد وانقاذها ، وليكن
هدف الجميع الخروج الى حياة كريمة فاضلة ، دثارها الصبر والأمل ،
وشعارها التقدم والعمل .

أركان البناء

(١)

التربية والمدرسة

ان الحال الذي وصل اليه العرب بعد الضربة التي اصابتهم في كارثة فلسطين يوجب على المفكرين والمسؤولين دراسة الموقف من جميع نواحيه ، ومعالجة المشاكل على أسس جديدة ، واعداد برنامج واسع غير البرامج التي سار عليها العرب بحيث يشتمل على إحداث تغييرات اساسية في المناهج وأساليب التعليم ، من شأنها ان تمهد لاعداد جيل بعقلية تطلعية ، يؤمن برسالته في الحياة، ويعمل جاهداً على انقاذ وطنه ورفع مستواه ، والمساهمة في خدمة الحضارة والانسانية. ان العرب في هذه الأيام في أشد الحاجة الى تبدل الأوضاع ، وانقلاب في أساليب التفكير والحياة ، وذلك بخلق جيل جديد ، وتربيته تربية جديدة يستغل معها حيويته في الصالح العام ، وتدفعه الى السير في ركب الانسانية مع العاملين المتبحرين .

والعرب كغيرهم من الأمم ، فيهم قابلية الاقتباس ، وقابلية الابتكار والانتاج ، ولا يمكن لهذه القابلية ان تنمو وتثمر الثمار المرجوة الا اذا عملنا على ثقلها وشحذها وتهيئة الوسائل التي تساعد على ابرازها وبعث نزعاتها الارتقائية ، وشهواتها التطورية ، ليتمكن العرب من العيش في المجتمع العالمي ، ومسايرة الحضارة في تقدمها والاستفادة من مزاياها .

وعلى هذا ، فالجهود يجب ان تتركز في التربية وتطبيقها على أسس جديدة تحقق الخير المطلق ، والتقدم المستمر ، وتُعدّ المواطن ليقوم بأداء رسالته في الحرب والسلم على أتم وجه وأشرفه . ويرى البروفسور (كرسشنير) الألماني ان التربية يجب ان تتناول الابقاء على الماضي ابقاء لا يسترعيو به ولا يعمينا عن حسنات الحاضر والوقوف على الأزمنة والبيئات والطبقات المختلفة ، حتى يمكن توسيع مدى اتصال الناس بعضهم ببعض ، وان تتناول تمدن الناس ومحو الوحشية من بينهم ، مع غلبة الناشئين وتوجيه كل منهم الى الطريق الذي يتفق وميوله الخاصة ، حتى يبلغ اقصى ما هو كفء له ، وغرس العادات الحسنة على ان لا تستعبد الناشيء ، ويجب ان ندرك ان للتربية وظيفة عامة ومهمة أساسية ، هي التوجيه والسيطرة والارشاد ، فالتربية في واقع الأمر نمو ، فهي (أي التربية) والنمو - كما يقول

ديوي - أمر واحد وليس لها غاية وراءهما . والمقياس الذي نقيس به قيمة التربية المدرسية هو مبلغ ما تخلقه من الرغبة في النمو المتصل ، وما تعده من الوسائل لتنفيذ هذه الرغبة في الواقع . ولهذا لا عجب اذا لم تأت المدارس - في بلادنا - بالفائدة المرجوة منها من حيث النمو المتصل ، ذلك لأن المستعمر في هذه البلاد - قد كیفها وجعلها وسيلة من وسائل الجلود ، وقتل المواهب ، وايقاف النمو . وهذا من أهم عوامل فشلنا ، وتخلفنا عن ركب الحضارة .

والذي نأمل ان يلاحظ المسؤولون هذه الناحية ، وان ينظروا اليها بعين الاعتبار عند وضع مناهج جديدة يرسمون بموجبها الخطوط الرئيسية للأهداف التي يجب ان تتحقق من التربية في المدرسة وغيرها . ان أهم عوامل الكارثة في فلسطين ، عدم وضوح الهدف عند العرب في نضالهم وحياتهم ، مما جعلهم يتخبطون ويسيروا في الظلام وعلى غير هدى وبصيرة . فالهدف الواضح البين هو الذي يساعد على تعيين مجرى الحياة وتحديد اساليب العمل ، فيكون السير في ذلك المجرى فعالا قويا ، ويكون نتاج العمل مضمونا وغزيرا ، لأن الأساليب محددة واضحة ، لا يحيطها غموض أو ابهام .

ان هدف التربية يجب ان يكون اولا تكوين المواطن الفاضل ، وخلق مجتمع جديد يؤمن بحقه في الحياة ، ويناضل من اجل حريته ،

ويعمل جاهداً على النمو والارتقاء . ولا يخفى ان تحقيق هذا الهدف
الخطير يحتاج الى مناصرة الدولة وفعاليتها .

لقد درس علماء الألمان الأثر الذي تركته فتوحات نابليون
لبلائدهم في افراد الشعب ، وبحثوا في الوسائل الفعالة لاستعادة
كرامتهم وشرفهم ، فخرجوا من ذلك كله « بأن العناية المنظمة
بالتعلم ، هي افضل وسيلة لاستعادة كيائها وقوتها السياسيين والحفاظة
عليهما . فقد كانت هذه الدول (دول المانيا) في الظاهر ضعيفة
منقسمة . ولكنها في ظل زعامة سياسيي بروسيا جعلت من هذا
الضعف حافزاً لها على وضع نظام للنهوض بالتربية العامة نهضة
واسعة قوية الأركان ... »

والآن ، وعلى ضوء ما حل بفلسطين من كوارث ومأس ،
وانهيار في الخلق والمعنويات ، يتحتم ان تكون المدارس ، من
صفوفها الابتدائية والثانوية ، الى ما هو اعلى من ذلك ، ذات هدف
معين يتحقق في تخريج المواطن المتحمس ، والجندي ، ومن سيكون
موظفاً وادارياً في الدولة ، واعداد وسائل الدفاع ، والتوسع في الحرب
والصناعة والسياسة ، والأخذ بأساليب الحضارة الاوروبية ، واقتباس
ما هو صالح من نظمها واساليبها ، ليتمكن العرب من مجابهة اعدائهم
المجهزين بجميع المعدات ، من معنوية ومادية ، ومن مسايرة روح

العصر في تطوره وتقدمه ، فلا يكونون على هامش الحياة ، لا قيمه لهم ، ولا رجاء فيهم ، بل في صميمها ، منتجين صالحين ، يشمرون الثمار المرجوة لخير أوطانهم وخير الانسانية .

ولسنا بحاجة الى القول ان المدرسة هي المكان الرئيسي الذي يمكن فيه للتربية ان تسير نحو اهدافها وتحقق اغراضها ومراميها ، فهي البيئة الصالحة التي تخلق الرغبة في النمو ، وتمهد الوسائل لتنفيذ هذه الرغبة .

وعلى المهتمين على مصائر المعارف في هذه البلاد ، ان يدركوا ان أهم وظائف المدرسة ، هي ابقاء عملية النمو حية على نحو يسهل استمرار حياتها في المستقبل ، على ان يجعل من الماضي ينبوعاً للخيال يساعد في توجيه الحاضر المتحرك الى الامام ، وتقوية اندفاعه ليكون أساساً لمستقبل يتطور ويتقدم .

ان المدرسة الصالحة هي التي تكشف استعدادات الانسان وتعمل على تهذيبها من اجل الصالح العام ، وخير المجتمع ، فتعهد حياة النشء وتوجيههم الى الخير ، وترشدهم لما فيه مصلحتهم ومصلحة المجتمع ، مترقبة ظهور الغرائز في الطفل ، فتستعين بها على انماء قواه ، وجعل حياته غزيرة وسامية ، حافلة بالعمل الطبيعي المشوق ، مع اعداد الناشئ في كل مرحلة من مراحل حياته للمرحلة

التي تعقبها ، ليكون مواطناً نافعاً ، وعاملاً يعمل على رفع مستوى نفسه وبلاده ، ويضع المصلحة العامة فوق المصلحة الخاصة .

ولهذا فان الواجب يحتم على الدولة والمفكرين ان يضعوا هيكلًا عامًا للتربية في المدارس . يقوم على بعث النزعات الارتقائية والشهوات التطورية ، وعلى زرع الحقد والكراهية للاستعمار والمستعمرين ، وتنمية روح المقاومة لاسترداد الحق السليب ، وتقوية الايمان بالقابلية ، والشعور بالمسؤولية تجاه المجتمع والانسانية .

ان الاوضاع في البلاد العربية ، والكارثة التي اصابتها في فلسطين ، توجب رسم فلسفة خاصة تستمد مادتها وقوتها من تاريخ العرب وحاضرهم ، ومن روح العصر المتميزة بالنمو والحركة السريعة . وعلى اساس هذه الفلسفة ، توضع مناهج التربية وبرامج التعليم في المدارس لاعداد جيل تقدمي نشيط ، رسالته الكفاح والنضال في سبيل الخلاص ، وهدفه النمو المتواصل لتحسين المجتمع والوصول الى حياة كريمة فاضلة .

أرطاة البناء

(٢)

الصناعة المقدسة

تختلف الأوضاع الآن عن الأوضاع في زمن الانتداب . فقد أصبح العرب في فلسطين يملكون (الى حد) تصريف امورهم ، ويهيمنون على معارفهم ومدارسهم ومعاهدهم . فلا يجوز والحالة هذه ان تبقى مناهج التعليم في المدارس الابتدائية والثانوية كما كانت . بل يجب ان يعاد النظر فيها ويصيها تحوير وتغيير يتلاءم وروح العصر في التقدم ، ويمهدان لخلق مواطنين يشعرون بالمسؤولية ويعرفون معنى الكرامة الانسانية ، ويقدرّون رسالتهم في الحياة . ولقد كانت هناك سياسة عليا في زمن الانتداب تسيطر على البرامج والمناهج ، واساليب خاصة موضوعة ليسيّر عليها المدرسون في تدريس التاريخ والجغرافية واللغات ، دون توجيه قومي وهدف انساني ، وعلى اساس (حشو) المعلومات لا (هضمها) فيخرج

الطالب من دراسته الثانوية وكله نفور من الدرس والمطالعة ، قد فقد حوافز الاستطلاع والمثابرة والجهاد .

ولست بحاجة الى القول ان العرب الذين كانوا يشغلون مراكز عالية في دائرة المعارف في فلسطين في زمن الانتداب ، لم يستطيعوا ان يسيطروا على الاوضاع ، ولا ان يكون لهم رأي قاطع في اساليب التوجيه على الرغم من اخلاصهم وولائهم لفكرة القومية العربية ، ومحاولاتهم لتغيير المناهج واساليب التعليم .

والآن ، وقد زالت تلك السياسة المسيطرة ، اصبح لزماً على المسؤولين ان يتجهوا بجهودهم في ايجاد اسس جديدة للمناهج ، تقوم على الاخلاص للحقيقة ، ومراعاة روح العصر في التقدم والارتقاء ، واستهداف التربية الوطنية من التعليم على ان تكون هذه الأسس من المتانة والقوة بحيث تحيل المعرفة الى فهم فرأى فعاطفة ، وأسلوب للحياة . وبذلك تصبح المعاهد مصانع لتخريج طلاب بعقلية تطوعية تساعد على اداء رسالتهم القومية والانسانية على أتم وجه واشرفه . ولهذا أتوجه باقتراح الى المسؤولين ، وهو ان يعملوا على انشاء مجلس أعلى للتعليم ، غايته اعادة النظر في المناهج بروح علمي ، وشعور قومي ، ووضع الخطوط الرئيسية للاساليب التي يجب اتباعها واستخدامها في تعليم الجغرافية والتاريخ واللغات ، والنواحي العملية

من العلوم التطبيقية وغيرها . كما يجب ان يستهدف المجلس من اعماله التربية الوطنية ورفع الروح المعنوية والقومية في النشء العربي ، وتحقيق الغاية من تثقيفهم وهي الوصول الى اسلوب سام يعيشون فيه . ولا يخفى ان الاداة التنفيذية في التربية والتعليم هي المعلم ، فهو القائم على تنفيذ المناهج ، وهو العامل على تطبيق البرامج ، وهو صاحب الصناعة المقدسة التي تمهد لتكوين المواطن الصالح القادر على ان يكون نافعا مشمرا منتجا . فالمعلم الكفاء الصالح هو الذي يستطيع ان يجعل المناهج والبرامج ذات اثر وفعالية . فلا فائدة في هذه جميعها اذا كانت الاداة غير صالحة . يقول المثل الفرنسي : « ... أعطني معلما كفئا صالحا ، وبرامج سيئة ، اخرج من الاطفال رجالا يعتمد عليهم ... » وفي رأبي ان كل محاولة في ادخال تحسينات على المناهج ، وكل محاولة لاصلاح البرامج ، لا تكون مجدية اذا لم تقم على اساس تهيئة الاداة الصالحة وهي المعلم الكفاء الصالح . وليس في هذا القول اي مثار للدهشة ، فهو (اي المعلم) المثال الحي الذي يلتمس فيه النشء القدوة والأسوة ، وهو الأمين على أبناء الشعب ، وهو المسؤول عن هذه الأمانة أمام الضمير الانساني وأمام الأمة والدولة . لهذا فهمة المعلم شاقة وذات مسؤولية خطيرة في تهيئة الناشئة ليكونوا أعضاء صالحين مصاحين في المحيط

الذي يعيشون فيه مستعدين لحل الأمانة الوطنية والقومية». .. قادرين على احتمال الأمانة الوطنية التي يتلقونها في التعليم ، والتي تعدهم لحماية الوطن وقرار الأمن والعدل فيه ، وتمكينه من الرقي والطموح الى حال خير من الحال التي هو فيها .. »

وقد قدرت الأمم الراقية هذه الناحية في التربية والتعليم ، فعملت على تهيئة الجو الذي يخرج المعلمين الصالحين ، فجعلت مدارس المعلمين كأحسن ما يكون الصلاح من الناحيتين المعنوية والمادية ، ليتمكن المعلم من النهوض بالأمانة الثقيلة التي تفرضها الأمة والدولة. « .. ويعلق الانكليز أهمية كبرى على اختيار المعلم والتأكد من صلاحيته للمهمة الكبرى التي يعهد بها اليه . وهم لا يهتمون في هذه المسألة بدرجة المعلم العلمية وكفايته فحسب ، بل يعلقون الى جانب ذلك أهمية كبرى على مسألة سلوكه الشخصي ومثانة أخلاقه ، لأنهم يعتقدون أن المثل الصالح يؤثر في أخلاق النشء أكثر من أي شيء آخر ... »

ويؤلني أن أصرح ان من عوامل فشل التعليم في أكثر البلاد العربية يرجع الى المعلم ؛ فلم يدرك المسؤولون أهمية المعلم ، وانه القوة الفعالة التي تتمكن من التوجيه الصحيح ، والأداة التنفيذية التي تحقق البرامج وتطبق المناهج . وقد أهملوا أمره ولم يعملوا على تهيئة

الجو الملائم الصالح الذي يساعده على اداء الأمانة الثقيلة على أتم وجه ، فأصبح التعليم في كثير من الأقطار مهنة الفاشلين في الحياة ، ومن الهواة ، كما يقول الأستاذ مشنوق « الذين لم يكن يدور في خلد هم وهم على مقاعد الدراسة انهم سيتعاطون هذه الصناعة المقدسة . ولذلك فهم لم يحضروا لها تحضيراً فنياً مسلكياً . قد يكون بينهم من يحمل المترك او البكالوريا ، ولكن كلتا الشهادات لا تعد صاحبها لهذه المهنة ، فالأولى جواز مرور الى الجامعة ، والثانية شهادة تخصص في فرع من الفروع ، وهي لا تحول حاملها حق ممارسة التعليم ، بل قد لا تمت الى التربية بصلة .. »

ولسنا ننظر من الحكومات العربية ، وهي حكومات حديثة وناشئة ، ان يكون اعتبارها للتعليم والمعلمين بالصورة التي نجدها في الغرب ، فهي لا تزال تعتبر التعليم سلكاً ثانوياً ، لا تصرف اليه العناية اللازمة أو الرعاية الضرورية ، ونراها تتساهل في الانتساب اليه ، غير آبهة للكفاية العلمية أو السلوك العام والخاص .

ومن الطبيعي أن ينتج عن ذلك عدم الاهتمام برفاهية المعلم أو انصافه فلا تعترف بحقه أن يعيش عيشة راضية ، ولا تعتبره كسائر الموظفين ولا تضعه في المرتبة التي تتناسب وثقل الأمانة التي يضطلع بها . لهذا لا عجب اذا لمسنا زهداً عند الشباب في هذه المهنة المقدسة ،

ورغبة في التخلص منها . وان من أوجب الواجبات أن يلتفت المسؤولون الى هذه الناحية الهامة ، لا سيما والأمة في بدء نهضتها وعلى عتبات وثبتها . وعليهم أن يدركوا أنه لا يمكن تحقيق أهداف التربية من إيجاد الرغبة في النمو المتصل ، وخلق مواطن فاضل يشعر بمسؤولية تجاه المجموع الا اذا هياؤا الجو لايجاد المعلم الصالح ، وعملوا على انصافه وترغيبه في التعليم ، وانزاله منزلة كريمة بين طبقات الأمة . ولذلك يجب أن يتجه البرنامج الجديد في المعارف الى تأسيس مدرسة للمعلمين ، وايفاد بعثات الى المعاهد العليا في الشرق والغرب ، للتخصص في شؤون التربية والتعليم . وعلينا أن نستعين بمصر حيث الامكانيات لتحضير المعلمين واسعة . ففيها جامعة فؤاد الأول وجامعة فاروق الأول ، وفيها معهد التربية ودار العلوم العليا وكلية اللغة العربية في الأزهر ، وفيها المدارس العالية للزراعة والصناعة والتجارة والفنون الجميلة مما يساعد على تهيئة معلمين للدراسة الثانوية والمهنية .

وعلى الدولة كذلك أن تلجأ الى طرق تحفز المعلم الى مواصلة الدرس وتوسيع أفق تفكيره ، وذلك بالمكافآت المادية والمعنوية واجراء مسابقات في التأليف ، وتخصيص مبالغ من المال لمن ينجح في هذه المسابقات ، وجعل الدرس والبحث من عوامل الترقية في

الراتب والرتبة .

وعلى هذا الأساس يندفع المعلمون في تيار المعرفة للوقوف على ما بلغه الانسان من كشف لأنظمة الكون ونواميس العالم ، وعلى ما اصاب العقل من تطور ، والحضارة من تقدم وارتقاء في مختلف نواحي الحياة وال عمران ، محولين ان يحيطوا بذلك احاطة معرفة وتدقيق ، وان يبذلوا في الانتاج العلمي اخصب مجهود واحكمه ، فلا تكون حياتهم حينئذ في نطاق محدود من البواعث والغايات ، وفي دائرة ضيقة من السدود والقيود ، بل تتفتح مداركهم ، وتزدهر عواطفهم ، فتنتطلق مواهبهم في جواء بعيدة المدى لتثمر الثمار المرجوة لخير الناشئة والبلاد .

بهذا لا بغيره تجعل الدولة من حياة المعلمين جهاداً يحيطه التفكير والشعور ، ويتمزج فيه السمو والفن الجميل .

ولا بد لي من الاشارة الى ان المعلم - وهو ركن من اركان النهضة ، والأداة التنفيذية للمناهج والبرامج - يجب ان ينال حقه من الحياة ، وان يعيش عيشة فيها كل الرضى وكل الاطمئنان . وعلى الدولة ان تتمكن له الحياة من الناحيتين المعنوية والمادية ، فتنزله منزلة كريمة بين موظفيها ، وتنصفه وترفع مستواه المادي من حيث الراتب والترقية ، فيبتسم للأمل ويبسم له الأمل ، ويكون بذلك قد آمن

لنفسه وابنائيه وعائلته عيشة راضية هنيئة فيقبل على عمله الشاق
بشوق ورغبة واخلاص ، يؤمن بالتعليم وقيمه ، ويعمل جاداً على
تحقيق اهداف التربية من خلق الرغبة في الجيل الجديد في النمو
المتصل ، واعداد الوسائل لتنفيذ هذه الرغبة ، وتقوية ايمانه بالقابلية
والشعور بالمسؤولية تجاه المجموع والانسانية .

أرضه البناء

(٣)

المناهج وخطوطها العريضة

العرب في هذه البلاد وغيرها من الاقطار العربية ، مقبلون على حياة جديدة تتطلب تغييراً في الأوضاع وانقلاباً في الأساليب ، ومراعاة للحاجات الناتجة عن التقدم الكبير ، والتطور الخطير اللذين اصابا الحياة في سائر نواحيها المادية والمعنوية .

وهذا العصر هو عصر التقدم والتغير ، فمن لم يسر الى أمام ، سار الى وراء ، ومن وقف فقد تأخر ، ومن لم يرتفع ويسمُ فقد تردى وهبط ، ومن لم يجار روح العصر ويجر مع تيار المدنية يجرفه التيار ويودي به ، فيصبح في عداد الأحياء الأموات ، لا قيمة له ، ولا حياة معه .

والعرب - وقد أصابهم ما أصابهم من كارثة فلسطين - قد بدأوا يستفيقون من غفوتهم ، وينهضون من كبوتهم ، بعد أن

نفضت تلك الكارثة بعض الغبار العالق بعقولهم ، وأزالت غيوماً من الجهل والغرور عن أعينهم ، فاصبحوا يتلمسون النجاة ويبحثون عن الطرق المؤدية الى التقدم والارتقاء ، كما بدأوا يدركون ان لا حياة لخامل وضعيف ، وان لا كيان لجاهل وهزيل .

ولهذا يجب ان تقوم المناهج في التعليم والتربية على أسس غير الأسس التي قامت عليها في الأيام الماضية ، وترتكز على أعمدة من العلم والتنظيم مما يدفع الى النمو المتصل والتطور المستمر ، ويؤدي الى القوة ودعم الكيان ، وتنمية القابليات والشعور بالمسؤولية وتقوية ملكة الابتكار ، وتشجيع الانتاج الفكري الى أبعد الحدود .

ولسنا بحاجة الى القول ان الغربيين يعنون بالمناهج عناية خاصة ويصرفون عليها الجهد والمال ، لانها - في نظرهم - ويجب ان تكون في نظر العرب - الدستور الثقافي الذي ينظم الحياة ، ويوجه الجيل الجديد الوجهة السليمة الغزيرة المثمرة ، على ان تكون قابلة للتطور والنمو مما يتلاءم وروح العصر .

لقد طرأت تغييرات ذات أهمية على مناهج التربية في اميركا وبعض البلاد الاوروبية في اوائل القرن العشرين ، واختلف رجال التعليم والعلماء في تفصيل اغراض « التربية » واهدافها ، ولكنهم اتفقوا على الجوهر والأساس ، فحصر العلماء في اميركا غايات « التربية

والتعليم « في سبع مسائل ، وعليها رسموا منهاجهم وأقاموا معاهدهم ومدارسهم . ولعله من المفيد ان آتي على ذكر هذه الغايات لاعطاء فكرة واضحة عن الخطوط العريضة في رسم المناهج والبرامج .

ان الأغراض التي اتفق عليها علماء التربية والتعليم في اميركا بعد دراسات عديدة وتجارب مضمينة متنوعة تشمل سائر نواحي الحياة المادية والمعنوية ، وهي كما يلي :

الغرض الأول - الالمام بالعلوم العامة .

الغرض الثاني - الاستعداد المهنة ، مما يؤدي الى احترام العمل اليدوي والصناعة على تعددها وتنوعها .

الغرض الثالث - الصحة ، وهو يقضي بوجوب الاهتمام بها وجعلها في مستوى الأغراض الأخرى . ويقوم هذا الهدف على المحافظة على الجسم ، والعمل على تقويته وانمائه إنماء متناسبا ، ذلك لان العقول القوية الناضجة تكون في الأجسام القوية الصحيحة .

الغرض الرابع : - خدمة الوطن ، وهو ان يعيش الفرد لمجموع ، وان يقدر المسؤولية تجاه المجتمع ، ويحشد مواهبه وحيويته لخدمة الوطن والانسانية ، ويضع المصلحة العامة فوق المصلحة الخاصة .

الغرض الخامس : - استخدام أوقات الفراغ ، وهذا يوجب

تعليم النشء كيف يستخدمون ساعات فراغهم في احسن الوجوه
وانتجها . ويكون ذلك بتشجيع النوادي العلمية والادبية والرياضية
والحرركات الكشفية .

الغرض السادس : - الحياة العائلية والعمل على اسعادها .
الغرض السابع وهو الأخير : - تكوين الاخلاق على أساس
المبادئ السامية والفضائل الصحيحة ، ورفع المستوى النفسي والخلقي
في الناشئة ليستطيعوا اداء رسالتهم في الحياة على أتم وجه واشرفه .

*

والآن ، و بعد ان استعرضنا الأغراض العامة للتربية والتعليم
المبثوثة في المناهج في اميركا ، وجب علينا ان نرسم مناهجنا على
هذا الأساس بحيث تكون الأهداف واضحة ، ذات اتجاهات
سلمية وخطوط رئيسية للتقدم في الميادين المعنوية والمادية والقومية
والانسانية . ولقد توفق الاستاذ ساطع الحصري بعض التوفيق في
اجمال الأهداف في مناهج سوريا التعليمية فجعل «الهدف العام هو
تربية الجيل الجديد تربية صالحة من جميع الوجوه البدنية والخلقية
والفكرية ، لينشأ كل فرد من افراده قوي البدن ، حسن الخلق ،
صحيح التفكير ، محباً لوطنه ، معترفاً بقوميته مدركاً لواجباته ، مزوداً
بالمعلومات التي يحتاج اليها في حياته ، قادراً على خدمة بلاده بقواه

العقلية والبدنية ، وبجهد الانتاجية .. »

ولا يخفى ان العرب فشلوا في فلسطين ، وان هزيمتهم في معركتها قد نزلت ثقة الناس بأنفسهم ، وزعزعت ايمانهم في قابليتهم وقوميتهم ، وسودت في نظرهم بني قومهم . وعلى هذا يجب عند وضع المناهج مراعاة هذه الأحوال والأوضاع ، ورسم الخطوط التي تساعد على تنمية الشعور بالعزة القومية والقضاء على مركب النقص القومي ، وابرار خدمات العرب في ميادين العلوم والفنون ، ومساهمتهم في بناء الحضارة والعمران .

وكذلك يجب أن يراعي واضعو المناهج روح العصر والتقدم الذي أصاب الحياة والعلم ، فلا تكون المناهج في معزل عن الناحية العلمية والعملية ، ولا بعيدة عن الاتجاهات الاقتصادية والاجتماعية التي تسود الحضارة الحالية ليكون المجال رحباً واسعاً أمام الطالب لينعم بثقافة علمية متينة واسعة ، تعزز فيها الناحية العملية من العلم وتشفع فيها النظريات بالعمليات ، وليكون ملماً بالامكانيات الاقتصادية في البلاد العربية ، مدركاً لأهمية استغلالها في التقدم والعمران .

ويجب أن لا يهمل المسؤولون أيضاً ، النواحي الفنية عند وضع المناهج ، وعليهم أن يضعوا الأسس لضمان ابراز الذوق الفني ، وتنميته تنمية يدرك معها الجمال في روائع الفن ويتأثر بها ، فتسمو

نفسه ، ويرهف حسه .

وهناك ناحية هامة تتعلق بالصحة والرياضة ، على المسؤولين مراعاتها وادخالها في المناهج ، فيجعلون من المدرسة بيئة يتمشى فيها اللعب مع العمل ، بحيث يساعدان على الوصول الى ما نرغب فيه من تقوية للجسم والعقل والخلق ، ليكون المواطن سليم الجسم ، سليم العقل ، فيه استعداد للعمل ، ورغبة في العمل والانتاج .

ولا يكفي أن تكون المناهج حافلة بالمواد والآراء والنظريات والتوجيهات ، بل على المسؤولين أن يضمنوا أثرها ، ويهيئوا الوسائل التي تأتي بالنتائج المبتغاة ، وذلك ببيان الخطوات التي تمهد الوصول الى أهداف المناهج وايضاح الطرق المؤدية الى تحقيق غايتها . وقد ذكر الدكتور «وليم كلباترك» الذي تأثر كثيراً بفلسفة معلمه الكبير «ديوي» الخطوات التي تساعد على احراز أفضل النتائج من التعليم ، ومن هذه الخطوات المرن والتدريب . ذلك لأن التعليم والاتقان والحدق لا تأتي عفواً ومن دون تمرين أو تدريب . ولذا يرى علماء التربية ورجال التعليم أن يشمل المنهاج المراتب على أعمال حسية ، وفضائل وأفكار ليكون تعليم الطالب مشمراً غزيراً .

والخطوة الثانية هي الرغبة والعزيمة - وهذه ناحية هامة يجب مراعاتها عند وضع المناهج ، فالرغبة أصل العزيمة . والمناهج التي لا

تؤكد الرغبة ، ولا تعنى بالعزيمة ، ناقصة لا تثمر ثمارها المرجوة من النهوض والتقدم . ولهذا نجد أن « .. المناهج الحديثة تنظر الى الاستظهار والوقوف على بعض المعلومات والحقائق نظرات ثانوية ، امكنها تنظر الى العادة والخطوة والمبدأ والمثل الأعلى والاعجاب وسائر الفضائل التي نريد غرسها في نفوس الناشئة ، نظرة أولية كبيرة.. » ونأتي الآن الى الخطوة الثالثة : الترابط والتداعي ، وهي خطوة تتعلق بذكر الأشياء أو الحوادث المرتبطة بوقائع خاصة ، أو بمناظر خاصة . وعلى هذا فالتجارب في بعض العلوم تساعد على فهم القوانين وتركيز المبادئ العامة مما يتحتم على واضعي المناهج أن يراعوا الترابط ويجعلوا له مكاناً رئيسياً فيها .

أما الخطوة الرابعة فهي تعدد الأشياء التي تتعلمها . فالمعارف لا تأتي فرادى ، بل لا بد من تعلمها مجتمعة . فإذا أردنا أن نتعلم شيئاً فعلياً أن نتعلم معه شيئاً آخر « .. ولا بد أن يكون لهذه الخطوة بعض الاتصال بالخطوة السالفة .. » ويرى رجال التربية ان الخطوتين الثالثة والرابعة على جانب كبير من الأهمية . ولذا « وجب أن تكون المناهج والواجبات المدرسية موضوعة بكيفية تأخذ منها هذه المبادئ المتعددة مجراها . فإذا سدت على الطالب المسالك وازدحمت المناهج وخلت من التنويع وضغط على تفكير الطالب

ساعات المبادئ وعرقلت الخطط التي يتعلمها .. » ويجب أن تكون المناهج موضوعية بحيث تكون أسلوباً للحياة من شأنه أن يصلح (الحياة) ويؤدي إلى تحسينها ورفع مستواها . والمناهج التي لا توصل إلى ذلك لا خير فيها ، وضررها أكثر من نفعها . بل إن الضرر الناتج عنها يكون بليغاً وخطيراً . والمناهج بمعانيها ومحتوياتها يجب أن تنشأ في جواء من الاختبارات والبيئات وتعين الطالب على السيادة على الحياة واقتحام عراقيلها والتغلب على متاعبها . وفوق ذلك على الأداة التنفيذية للمناهج أن تسير في تربية النشء على أساس تزويدهم بالعدد التي تساعد على الخروج من المأزق وتركيز روح التفاؤل فيهم ، وتنمية قوى التكيف عندهم ، والعمل على تحويل مجرى الأمور من اليأس إلى الرجاء ، ومن الفشل إلى النجاح ، على أن يكون الرائد والهدف التقدم المستمر ، والنمو المتواصل ، وشعارهم الاخلاص للحق والحقيقة .

هذه هي بعض الخطوط العريضة التي يجب مراعاتها عند وضع المناهج ، لتثمر الثمار المرجوة في اعداد جيل جديد تطلعي ، يهدف إلى النمو المتواصل لتحسين المجتمع ، ويؤمن برسائله في الحياة ، عاملاً على انقاذ وطنه ورفع مستواه ، والمساهمة في خدمة الحضارة والانسانية .

أركان البناء

(٤)

ابواب الفهم

ان العرب الآن في مطلع نهضة ان لم يأخذوا بأسبابها ويعملوا على تميمتها فلا يرجى لهم حياة في هذا العالم الغامي المستمر في التقدم والارتقاء . وعلى ذلك أصبح لزماً على المسؤولين عن مناهج التعليم في هذه البلاد والبلاد العربية ان يجعلوا من مادتي التاريخ والجغرافيا وسيلة لتهيئة الطرق التي تساعد العرب على فهم المحيط الذي يعيشون فيه ، واستيعاب اعمال وآلام الجماعات التي ليست حياتهم إلا دواماً لحياتها ، فتتفتح امامهم ابواب للفهم تساعدهم على حل المشاكل الحاضرة والتمهيد لحياة نامية فاضلة .

ان الغاية التربوية من تعلم الجغرافيا « زيادة القدرة على ادراك العلاقات المكانية والطبيعية لعمل من الأعمال الاعتيادية ... » كما ان علم التاريخ « ما هو في جوهره الا زيادة القدرة على ادراك

علاقات البشرية ... » كما يقول البروفسور ديوي .

ومن هنا يجب ان تكون دراسة التاريخ والجغرافية قائمة على أسس تربوية حديثة لانهما في الواقع وجهان لموضوع واحد هو الحياة المجتمعة للانسان . فدراسة التاريخ تؤكد لنا الناحية البشرية ، ودراسة الجغرافية تؤكد لنا الناحية الطبيعية . وبين هاتين الدراستين علاقة متبادلة لا يجوز اغفالها أو اهمالها . فاذا ما اهملت هذه العلاقة فقد التاريخ أثره فيغدو مجرد جداول للتواريخ والحوادث ، كما فقدت الجغرافية أثرها فتصبح مجموعة من المعلومات الجافة الجامدة ، ليس فيها ما يوسع المعاني ويحفز لأفكار جديدة . فدراسة طبيعة الوسط الذي نعيش فيه ، والذي وقعت وتقع فيه الاحداث الاجتماعية ، تزودنا بادراك دوافع هذه الاحداث ، وتساعد على فهم عواملها فيزيد تبصرنا في الحياة ، وتنمو خبرتنا نمواً تتفتح معه المدارك ويتسع افق التفكير . فالتاريخ والجغرافيا يكسبان الطالب عقلية جديدة ، ويفتحان أمامه ابواباً للفهم ، ويساعدانه على فهم الحاضر ومشاكله ، وتهيئة الطريق لاستغلال امكانيات المحيط والوصول الى حياة غزيرة فاضلة . ولا شك ان الامم التي ضربت بسهم وافر في التقدم والمدنية ، قد ادركت هذه الناحية فسارت في تدريس التاريخ والجغرافيا على أسس تربوية زودتها بمعان جديدة للحياة ، وساعدت

على تنمية خبرتهم البشرية وادراك الحقائق والمبادئ التي مهدت
السبيل الى النجاح والسيطرة على قوى الطبيعة واستغلالها لرفاه
البشرية وخيرها .

※

ومن الطبيعي ان يبدأ تدريس الجغرافيا بالحيط الذي يعيش
فيه الانسان ، ومنها يخرج الى المجهول ، الى الدائرة التي تشملها
وتشمل المجهول بالنسبة اليه ، « فان لم تجعل دراسة الجغرافيا المحلية
أساساً للتوصل الى العالم الواسع البعيد ، اصبحت قتالة في جمودها... »
وبقي الخيال واقفاً دون غذاء يقويه وينميه . ولهذا فان البدء
بالجغرافيا المحلية على أساس انها وسيلة لتوسيع افق الخبرة حتى تتناول
الشعوب والأشياء المجهولة الغريبة عنا ، يولد معاني جديدة من شأنها
ان تحول دون التفكير المحدود الضيق ، بل توسع العقل وتذهب
بالأفكار الى مدى بعيد .

أما الاقتصار على دراسة الجغرافيا المحلية والتركيز على اهميتها ،
فجمود ينتهي بالحدودية الفكرية وايقاف التوالد في المعاني والتجديد
في الأفكار .

ولسنا بحاجة الى القول ان عرض الجغرافيا المحلية يحتاج الى
مهارة واختصاص حتى يخرج الناشئ واقفاً على امكانيات البلاد

الاقتصادية والزراعية والصناعية وكيفية تفاعلها مع بعضها في الماضي والحاضر وعلاقتها مع الانسان . ولا شك ان هذا الاتجاه في تدريس الجغرافيا المحلية والخروج منها الى جغرافية العالم الواسعة بحيث تنمي خبرة الطالب نمواً تتولد معه معان جديدة تساعد على فهم المحيط وادراك تفاعلاته في نشوء الحضارات وازدهارها ، أو ذبولها .

*

ونأتي الى التاريخ - وهنا يجب ان يكون مفهوماً ان التاريخ يفقد حيويته اذا عزل عن أساليب الحياة الاجتماعية وشؤونها... وان معرفة الماضي هي التي تفتح أمامنا ابواباً لفهم الحاضر ، فالتاريخ يعالج الماضي ، ولكن هذا الماضي هو تاريخ الحاضر...» وقد ضرب البروفسور ديوي مثلاً على ذلك استكشف اميركا فقال : « ... ودونك مثلاً الدراسة الرشيدة لاستكشاف اميركا واستطلاع مجاهلها واستعمارها وحركة النزوح الأولى من شريقها الى غربيها والهجرة اليها... فانها يجب ان تكون دراسة للولايات المتحدة كما هي عليه اليوم ، أي دراسة البلاد التي نعيش فيها الآن . فاذا مضينا في دراستها في طور تكونها ، فان ذلك يسهل علينا فهم الكثير من الأمور المعقدة التي يتعذر فهمها بصورة مباشرة ... » ولا يخفى ان ادراك العلاقة بين الماضي والحاضر ، بين الأحداث الماضية وبين

الحاضر الحي ، لما يساعد على حل المشاكل وعلى فك العقد المستعصية
في كثير من القضايا ...

ولست من القائلين بتدريس التاريخ على أساس انه فن يراد
به الدعاية المتطرفة ، الوطنية او الطائفية ؛ فان هذا الاتجاه يوجد
التعصب ويشجع على الكراهية والبغضاء . وارى ان دراسة التاريخ
يجب ان تسودها الدقة والنزاهة ، بحيث يجد الطالب فيها الوسيلة
للحب البشري والسلام والتسامح .

*

وكذلك من واجب المسؤولين ان يعنوا عناية خاصة بالتاريخ
الاقتصادي ، لأنه « اكثر انسانية وديمقراطية » وأقدر من التاريخ
السياسي على تحرير الفكر « ... فهو لا يعرض لقيام الامارات
والسلطات وسقوطها ، ولكنه يعرض لانشأة الحريات الفعلية الصادرة
من السيطرة على الطبيعة - وتلك هي حريات عامة الشعب الذين
توجد الامارات والسلطات من أجلهم ... » . ويرى كبار رجال
التربية ان التاريخ الصناعي هو الطريق المباشر الى فهم العلاقات
بين جهاد الانسان وبين الطبيعة . وهو عرض للطريقة التي
تمكن بها الانسان من استغلال قوى الطبيعة .

ويتحتم على واضعي المناهج ان يلتفتوا الى التاريخ الفكري

ليفهم الطالب ان الفضل فيما وصل اليه من رقي وتقدم ، ومن توسيع
للخبرة والسيطرة على قوى الطبيعة ، يعود أولا الى رجال العلم
والمكتشفين والمخترعين لا الى الزعماء السياسيين أو القواد
العسكريين .. وهنا يقضي الواجب التشديد على مساهمة العرب في
ميادين العلوم والفنون ، وخدماتهم في حفظ التراث العالمي الذي
ورثوه عن الأمم التي سبقتهم وتنميته . والغرب كغيرهم من الأمم
- فيهم قابلية التقدم والارتقاء ، وان العقل العربي حين واثته
الظروف ، قام بحظ موفور في رقي البشرية ، وأضاف اضافات هامة
الى الثروة العلمية الانسانية ، التي انتجتها العقول التي سبقت العرب
من فينيقيين وبابلين وكلدانيين ومصريين واغريق وهنود ورومان
وغيرهم . ودراسة التاريخ الفكري توضح جهاد الانسان نحو الرقي
والحرية والحضارة ، وهي « ... بهذه المثابة تقوي روح الخير .. »
فيصبح تاريخ تقدم العلوم والفنون ذا قيمة خلقية ، يساعد على
تكوين بصيرة تنفذ الى صور الحياة الاجتماعية الحاضرة ، فتنتفتح
العقول للفهم والادراك بصورة تساعد على تكوين المحيط الذي تنمو
فيه الحياة الفاضلة .

ويمكن القول ان دراسة التاريخ يجب ان تسير على نظام
يشمل مراحل متعددة تمهد لجعل الصورة البشرية واضحة غير

مشوهة ، كما تعين الطالب على ان يفهم تاريخ الكوكب الذي يعيش فيه ، وتطور سكانه ، ومدى تقدمهم في سلم الحضارة .

ويحتاج تدريس التاريخ الى نظام خاص ، وقد اقتبسناه من النظام الذي وضعه الأستاذ سلامة موسى ، بعد ان أجرينا تعديلات في بعض خطواته ، وأضفنا خطوات جديدة اليه . وهو كما يلي :

١ - يجب تدريس تاريخ هذا الكوكب منذ ان تكون الى ان ظهر عليه الانسان : أي ما نسميه التطور .

٢ - ثم تدريس حياة الانسان البدائي الى ان اهتدى الى حضارة الزراعة في مصر .

٣ - وهنا يتحتم اعطاء فكرة عن تاريخ الفراعنة ، لأنه يمثل تاريخ التطور الاجتماعي والاقتصادي والديني في أشكاله الأولى .

٤ - يجب بعد ذلك تدريس الأمم القديمة ، كالبابليين والفينيقيين والاعريق والرومان والصينيين والهنود .

٥ - ثم تدريس تاريخ العرب مع التشديد على هذه الخطوة ، وذلك لارتباطنا الوثيق بها .

وعلينا ان نحسن عرض تاريخنا ، ونجعله سهل التناول ، على ان يكون خالياً من النواحي المتعلقة بالوقائع والمنازعات والحروب . ونشدد على النواحي التي تتعلق بالحضارة والاجتماع والثقافة والتربية

وأثر العرب فيها وخدماتهم لها . وقد أتيننا على شيء من هذا في بحث
« حول عدم صلاحية العرب للحياة » .

٦ - تدريس القرون الوسطى .

٧ - تدريس النهضة الأوروبية .

٨ - ثم تدريس التطور الاقتصادي الذي نشأ في أوروبا منذ

١٦٠ سنة ، والذي ما زلنا في سياقه . وهنا نحتاج الى النظرية
الماركسية في التفسير الاقتصادي للتاريخ .

٩ - تدريس النهضة العربية الحديثة ، وثورة الحسين وما

أعقبها من ظهور دول في شتى الأقطار العربية . وتاريخ الحركة
الصهيونية وعلاقة بريطانيا بها ؛ ويدخل في هذا كارثة فلسطين
وتكوين دولة اسرائيل فيها .

وكذلك من المستحسن تدريس بعض الثورات العالمية كالثورة

الفرنسية والأميركية ، وثورات روسيا وتركيا والصين والهند ، لأن
بعض هذه الثورات مهدت للرقى ، أو كانت من عوامل الرقى والتقدم .

وفوق ذلك يجب العناية بدراسة تاريخ العلوم والفنون ،

وتوجيه بعض العناية لناحية التراث العربي الفكري ، وأثره في تقدم

العلوم والفنون ؛ على ان لا تكون هذه المرحلة نقطة الوقوف . بل

نقطة الحركة والاندفاع ، تدفع العرب الى الايمان بحيويتهم ،

وقابلتيهم ، وامكانيتهم في المساهمة في خدمة الحضارة .

*

وبذلك يمكن للطالب اذا سار في دراسة التاريخ على هذا النظام ، ان يفهم الاقتصاد والاجتماع والسياسة والأخلاق . وان يكسب من دراسته الجغرافيا والتاريخ توسيع خبرته البشرية ، وتمديد آفاق التفكير ، فتتفتح مداركه ، وتنمو مواهبه ، وتتفتح أمامه أبواب الفهم ، مما يساعده على فهم الحاضر ، والاحاطة بمشاكله وتفاعلاته احاطة وعي وادراك ، وجعل المحيط الذي يعيش فيه يصلح للحياة النامية الفاضلة .

العلم والحياة

(١)

حاجة العرب الى الاسلوب العلمي

يجب ان يتحرر العرب في هذا العصر من الماضي ومقاييسه ، ويحرروا عقولهم من التقيد بالأغراض المألوفة ، ويعملوا على تكوين أغراض جديدة . وبذلك يمكنهم ان يتقدموا ويسايروا الحضارة في ركبتها ، كما يصبح في مقدورهم ان يقاوموا التيارات المعاكسة لتقدمهم ونموهم فيحفظوا عليهم كيانهم ، ويعيشوا في صميم الحياة ، لا على هامشها ، عاملين منتجين سائرين في طريق النمو المستمر والارتقاء المتواصل . والعرب لا يحصلون على شيء من التحرر من المقاييس الماضية ولا يستطيعون تحرير العقل ، الا اذا اخذوا بالعلم واسلوبه ، وعاشوا بالعلم واستخدموه في التربية . فالطريقة العلمية ، اذا تفهم الطلاب معناها وتشربوا روحها ، تعينهم على فهم الحياة وما يتوصلون اليه من العلم والوثوق منه ، فتنشأ عندهم عقيدة راسخة

وهي انهم يستطيعون السيطرة على الطبيعة سيطرة نافعة للبشر ،
فينظرون الى المستقبل بدلا من الماضي ، ويتحررون من المقاييس
الماضية والمقاييس غير المضبوطة ، ويكون نموهم متصلاً ومستمراً .
لقد نزلت كارثة فلسطين بالعرب أجمعين ، وكانت نتيجة حتمية
للاوضاع والأساليب التي اتبعها العرب في الجهاد والحياة ، فهي بعيدة
عن العلم ، لم تقم على أساس ، بل تقيدت بمقاييس الماضي وأغراضه ،
فكانت الفوضى في الأعمال ، وكان الارتجال في السياسة والحركات .
ان عدم اتباع الطريقة العلمية في الحياة وفي حل القضايا
الاجتماعية والمشاكل السياسية قد ادى الى الارتجال الذي نراه متغلغلاً
في أعمال العرب ونواحي نشاطهم . فلو كان المسؤولون هنا وفي البلاد
العربية متشبعين بالروح العلمية مدركين لأهمية الاسلوب العلمي واثره
في الحضارة الحالية لساروا في الحياة على أسس من الأرقام ، ولأعدوا
امكانياتهم ونشاطهم على دعائم من العلم والدقة .

والذي لا ريب فيه ، ان جهل العرب بالطريقة العلمية ،
وابتعادهم عن العلم ، قد مكن الأعداء منهم ، واكسبهم الجولة الاولى
على العرب ؛ وكيف لا ينتصر الأعداء وقد تسلحوا بالعلم ولجأوا الى
أساليبه وطرقه فاستعملوها على نطاق عريض ، بينما سار العرب على
المقاييس الماضية ، وبأسلوب تحيطة الفوضى ، خال من الرقم والدقة ،

فلم يلجأوا الى الاستقراء في معالجة المشاكل والقضايا، كما انهم لم يعتمدوا على البحث والدرس والرقم في اعمالهم وتعيين اتجاهاتهم وأهدافهم . ولا شك ان هذه الاوضاع والفوضى ، وهذا البعد عن الاسلوب العلمي ، قد نتجت عن الجهل والتقيد بالماضي ومقاييسه، وعدم تقدير العلم واسلوبه وأثرهما في الحياة والعمران .

يجب ان يدخل العلم في السياسة ، وان يتشبع الذين يشتغلون بها بروحه ، ليكون نتائجهم مثمراً وفي مصلحة الجموع . فالسياسي الذي يسير على الاسلوب العلمي ، ويعتمد على الاحصاءات والرقم في حل القضايا ومعالجة المشاكل، لا يرتجل ولا يتقيد بالاساليب الماضية، وينظر دائماً الى الامام ، ويكون في نشاطه وأعماله متجدداً نامياً يعتمد على الوجدان والتعقل ، لا على العواطف والارتجال . والعرب في حاجة قصوى الى هذا الطراز من السياسيين الذين يحملون عقلية احصائية وروحاً علمية ولا يعجزون عن المعالجات العلمية للمشاكل . وقد قال المستر ايدن سنة ١٩٤١ في خطاب الافتتاح الذي ألقاه في مؤتمر العلم والتنظيم العالمي : « .. ان من الخير ان تتعاون السياسة مع العلم ، وان من الخير للامم ان يكون بيد العلماء الكثير من المناصب العليا فيها لتوجيهها توجيهاً علمياً .. »

ان هذا العصر هو عصر العلم ، فمن لم يأخذ بالعلم ويسر على

طريقه ، ويتبع أساليبه ، فقد تنكر لروح العصر ، وحاد عن التقدم وقاوم تيار الحضارة ، وعندئذ ينتهي به المطاف الى الخمول والموت . والأمة التي تبغي حياة ، وتريد المحافظة على كيائها و بناء مجتمع فعال منتج ، عليها ان تستخدم العلم في التربية لينشأ جيل ذو عقلية مرنة تؤمن بقدرتها على تسيير الأمور ، واحداث تقدم في ميادين الصناعة والاجتماع . والتقدم لا يكون حيويًا ومنتجًا فعالا الا اذا قام على أساس من الأسلوب العلمي الحديث الذي يساعد في السيطرة على وسائل العمل ، ويمهد للاختراع والاكتشاف .

ولهذا وجب على المسؤولين التشديد على الطريقة العلمية وادخالها في المناهج التعليمية والاهتمام بالنواحي التجريبية من العلوم الطبيعية، فتتحرر العقول من التقييد بالأغراض المألوفة ومن المقاييس غير المضبوطة ، فتنتطلق في عوالم النمو والتقدم ، وتفتتح بصيرة الانسان لفهم المشكلات القائمة ، ويستثير ذهنه وتكشف أمامه الحقائق التي تساعد على ادراك ما يجري حوله في عالم الاقتصاد والعمران ، وان الثورة الصناعية هي ثمرة العلم التجريبي ، والاختراعات ليست سوى شواهد على تطبيق العلم على الحياة ، وقد خرجت من الأسلوب العلمي ، ونبتت من الحقائق التي كشف عنها هذا الأسلوب .

ولا تقف مزايا الطريقة العلمية عند هذه الحدود ، بل ان هذه

الطريقة تساعد على ازالة آثار التقاليد والعادات ، وتتهيء للنمو المستمر والتطور المتواصل ، فتجنب المتشبع بروح العلم كثيراً من الارتباك الذهني في السياسة والاقتصاد ، مما يساعد على حل المشكلات والقضايا حلاً سليماً ، يقوم على الاستقراء والرقم والتجربة والتمثيل . وفوق ذلك فالأسلوب العلمي - أو الطريقة العلمية - هي في صميمها مدرسة للخلق العالي ، ذلك لأن قواعدها تتجرد عن الهوى ، والانصاف بين الآراء ، والصبر ، والمثابرة في التجربة والامتحان ، ونكران النفس في سبيل الحقيقة . وهذه الصفات التي يجب توفرها في الباحث ، هي في الواقع الصفات التي تسير مع الخلق العالي .

ومن هنا تتجلى الفوائد المادية والمعنوية التي يجنيها الطلاب من تشبعهم بالروح العلمية ، وتفهمهم للأسلوب العلمي ، وتبصرهم بمعانيه وادراك أثره في تقدم الفرد والمجموع .

وخلاصة القول : اذا أراد العرب ان يعيشوا في القرن العشرين في بلادهم أحراراً ، منتجين ، عاملين ، فعليهم ان يعيشوا بالعلم ، وعلى أسس من الارقام ، ويتبصروا بمعاني الاسلوب العلمي ، ويسلموا زمام أمورهم لعقليات علمية ، لتتألف من ذلك حكومات تقدر العلم والنظام والارقام ، وتعرف كيف تسير بالمجتمع العربي في طريق النمو والارتقاء ، وتخرج به من الظلمات والنحول الى النور والحياة .

العلم والحياة

(٢)

الرقم أساس النجاح

ان هذا العصر هو عصر العلم ، فأثاره بادية في كل مكان ، وأصوله متغلغلة في ما جل من الشؤون وما هان . وأصبح الانسان في القرن العشرين لا يعيش الا في جواء العلم ولا يسير الا في ركابه وعلى طريقه ، تحيطه الاختراعات وتكتنفه الاكتشافات من كل الجوانب .

لقد تقدم العلم تقدماً نتج عنه انقلاب خطير بعيد الاثر في الحياة والعمران ، فقد قضى على المسافات ومحا آياتها ، وأتى على معجزة الاتصال بين الاقطار فجعلها طوع اشارته . كشف الجاهل وجفف المستنقعات وأروى الصحارى ومهد الادغال وأباد اكثر الامراض ، فاذا الارض اكثر ترامياً وأرجأؤها أعظم اتساعاً . ففتح أبواباً كانت مغلقة ووصل الى نتائج ما كانت لتخطر على بال انسان . وتمكن

من السيطرة على مصادر الطاقة بأشكالها وأنواعها بما فيها الطاقة الهائلة من تحطيم الذرة وتهشيمها ، فنمت الثروة العامة نمواً عظيماً ، ووطعت الاكتشافات ، وانهارت الاختراعات ، من عائم على الماء ، وسابح في الهواء ، وسارٍ ورأسٍ على الأرض وتحت الأرض ، ومن عيون مكنت الانسان من رؤية ما لا يرى ، وما لا يمكن ان يرى من صغار الاشياء المتناهية في الصغر في عالم الاحياء الدقيقة ، وبعيدها المتناهي في البعد في الفضاء في أعماقه السحيقة . ومن عيون تنبأت بالاجسام والمسارات ، وكشفت القوانين التي تسود الكون وتسيطر على حركاته . ومن كاشفات تنبئ بالقادم ، وتحذر منه ، وساحرات تنقل على أمواجها الاخبار والانباء والصور حتى أصبح الكثيرون في هذا العصر يتمتعون بأسباب من الرخاء والرفاهية والترفيه لم يحلم بها أحد في الماضي مهما جمع به الفكر وحلق الخيال .

وما كان للعلم ان يتقدم هذا التقدم العجيب ، وان يكون له هذه الآثار البعيدة ، لولا الاسلوب العلمي والرقم ، فهما الاساس الذي بنيت عليه الحضارة الحالية في نواحيها المتعددة من اقتصادية وعمرانية واجتماعية .

لقد قلب الاسلوب العلمي الاوضاع ، وغير نظرة الانسان الى الكون والحياة ، فتكشفت الحقائق وزال الغموض عن كثير من

الظواهر والحركات ، وأصبحت التجربة والملاحظة والدقة والآلة هي الخصائص المميزة للحضارة الحالية عن كل حضارة سبقت ، فاعتمادها على الرقم أكسبها صفة الدقة وجعل في الامكان تطبيق الاسلوب العلمي في نطاق عريض ، واستخلاص نتائج رائعة وخطيرة أوصلت الحضارة الصناعية الى ما وصلت اليه من دقة قاربت حدود الكمال ، فأنت بالعجب والسحر .

ان الاختراعات التي ينعم بها الانسان في هذا العصر ، والاكتشافات التي قلبت الاوضاع ، تقوم على الرقم والاسلوب العلمي . قال كانت Kant : « .. يكون العلم دقيقاً اذا استعمل العلوم الرياضية في بحوثه .. » ولم يستطع العلماء ان يستفيدوا من كثير من القوانين في الطبيعة والكيمياء الا بعد ان افرغوا هذه القوانين في قالب رياضي لجمته الارقام وسداه المعادلات . ولقد بلغ علما الكيمياء والفيزياء درجة كبيرة من الدقة والكمال بفضل الارقام . ولو جردنا هذين العلمين من رياضياتهما ومعادلاتهما والارقام لما كان هناك صناعة على هذا النطاق الواسع ، ولما كان هناك تقدم في الآلات والادوات التي مكنت الانسان من السيطرة على الطبيعة واستغلالها لما فيه خيره ورفاهيته .

ان هذا العصر هو عصر الهندسة وعصر الآلة - وهذه في حاجة

الى الارقام ، ولا يمكن الاستفادة منها او تطبيقها الا بذلك . قال
فوس Voss : « .. ان مدينتنا التي تتركز على الاستفادة من الطبيعة
والسيطرة على عناصرها مبنية على أسس من العلوم الرياضية .. »
فالهندسة بأنواعها والملاحة والصناعة - كل هذه تحتاج الى الرقم
ولا يمكنها ان تستغني عنه ، بل ان أسس انشائها تقوم على الارقام
والمعادلات . وما يقال عن هذه يمكن ان يقال ، الى حد ، عن
علوم اخرى . فان هذه كما تقدمت ، وكما استطاعت ان تدخل
الارقام في بحوثها اقتربت من الدقة والكمال .

ولقد امتد أثر الارقام الى ابعد من ذلك ، فلم يقتصر على
الاختراعات والآلات فحسب ، بل شمل الحياة كلها في سائر الاعمال
وعديد الاتجاهات ، واصبح الاحصاء والاعتماد على الرقم أساس
التشريع والمشروعات ، وعليه يسير الاقتصاد والتعليم والصناعة حتى
أصبح تقدم الامة يقاس بمقدار ما تملكه من عقليات احصائية تتقيد
بالرقم ، وتبني بالرقم ، وتستنتج بالرقم ، وتبتكر وتنتج على أساس الرقم ،
وتجري في معاملاتها على الرقم والاحصاء . فلا تقدم لامة اذا لم تجعل
الاحصاء قاعدة حياتها ؛ بل ان عدم تقيدها بالرقم وسيرها في الحياة
في خطوط لا تتركز على أسس احصائية سليمة ، لا يدفعها الى
التقدم ، بل يوقف نموها ، ويؤخرها عن مسيرة الحضارة في ركبها .

والعرب في هذا العصر متخلفون عن ركب الحضارة ، لم يتقيدوا في تعليمهم بمنهاج خاص ، ولم يضعوا هدفاً واضحاً يسرون نحوه ، كما انهم لم يدركوا أثر الرقم والأسلوب العلمي في الحياة والعمران ، فكان من ذلك هذه الفوضى التي نراها متغلغلة في سائر نواحي حياتهم ، والبلبلة التي نلمسها في اتجاهاتهم ، وهذا الارتجال الذي تميزت به اعمالهم ونشاطهم ، فوقعوا في مشاكل وكوارث نزعزت الثقة من أنفسهم بأنفسهم ، وزعزعت ايمانهم بقابليتهم للحياة ، وكادت تؤدي بهم وتعصف بكيانهم . فليس هناك من شك في ان سياسة الارتجال التي سار عليها العرب ، هي التي جرت الولايات على فلسطين والعالم العربي . ولسنا بحاجة الى القول ان هذا الارتجال دليل الجهل والفوضى والغرور . فالعلم والتبصر والارقام لا تجر الى الكوارث والمآسي ، بل تؤدي الى فهم صحيح للاوضاع ، وحلول ايجابية تمهد الى الاستقرار والتقدم .

*

ان العرب بحاجة الى عقليات احصائية تعنى بالرقم والاسلوب العلمي ، وتقيد نتائجها وحيويتها في دائرتيها لئلا يتسكنوا من مسايرة الحضارة في مختلف ميادينها من عمرانية واقتصادية واجتماعية . فالعالم الآن يتحرك بالارقام ويتقدم بالعلم ، وقد أصبح العلم من ضرورات

الحياة ، لا تستقيم الامور الا على طريقه ، ولا تصلح الحياة الا اذا روعيت أساليبه وتقيدت بدائرته وأرقامه . والامة التي لا تعنى بالعلم ولا تسير في ركابه ، لا يمكنها مجابهة الحياة ومقاومة تيارات الرجعية وعوامل التدهور والانحلال ، وهي تعرض كياناتها لخطر الزوال ، وامكانياتها للاستغلال والاستعمار .

والعرب وهم على أبواب نهضة وفي أول مراحل الوعي - عليهم ان يتسلحوا بالعلم ويتفهموا أسلوبه وطريقته ، ويطبّقوا ذلك في سائر المرافق . وعلى المسؤولين في البلاد العربية ان يضعوا العلم في المقام الأول من حياة الأمة ، وان يحشدوا مواهبهم وجهودهم في رفع المستوى العالمي ، والأخذ بأسبابه وأساليبه ، والعمل على تطبيقه واستخدامه في مختلف الشؤون الاقتصادية والعمرانية . بذلك يسايرون الحضارة في سيرها ويكونون قديماً والعوامل التي يقاومون بها الاستعمار بأشكاله وألوانه ، وزودوا أنفسهم بأدوات التحرر من المرض والفقر والجهل ، كما مهدوا لايجاد جيل جديد يؤمن بالعلم والرقم ، ويعرف كيف يستغل مواهبه وامكانياته في سبيل المجموع وتقدمه ورفاهيته ، ويعمل مع العاملين المنتجين على خدمة الحضارة واعلاء شأن الانسانية .

موقفنا من العلم

لا حياة للعرب الا بالعلم ، ولا نجاح لهم الا اذا اتبعوا طريقته وساروا سيرته . فمن لم يساير روح العصر ويأخذ بأساليب العلم ، فقد ضل الطريق وبقي بعيداً عن ركب الحضارة ، لا يرجى له حياة في هذا العالم النامي المستمر في التقدم والارتقاء . وكما سبق القول ، ان الحياة في الأفطار العربية تتطلب تغييراً في الأوضاع وانقلاباً في الأساليب يتلاءم والتطور الخطير الذي أصاب العالم في سائر النواحي المادية والمعنوية .

وعلى العرب في هذه الفترة الدقيقة من حياتهم ان يتسلحوا بالعلم وأساليبه ، وان يدركوا ان العلم لهم هو « كل شيء » في هذا الوجود ، حتى اذا تفهموا روحه وتقيدوا بأساليبه خرج عن دائرة « كل شيء » فيصبح العلم وحده غير كاف للوصول الى حياة فاضلة كريمة ، اذ يجب عندئذ ان يسير العقل مع القلب والعلم مع الايمان واليقين .

لقد تقدم العلم تقدماً نتج عنه انقلاب خطير في الأوضاع والمرافق . فقد غزا جميع نواحي الحياة ، صغيرها وكبيرها ، جسمها وتافهها ، ودخل في الطعام والشراب ، في الترف والنعيم ، في الحقل والبيت ، في الحرب والسلم . وأصبح العالم لا يعيش الا في جواء العلم ، ولا يسير الا على طريقه ، تحيط به الاكتشافات ، وتكتنفه الاختراعات ، فأثار العلم بادية في كل مكان ، وأصوله متغلغلة في ما جل من الشؤون وما هان .

سرح الطرف وانظر ما أخرجه العلم من محيرات ومعجزات في عالم الصناعة والآلات ، تجد ان العلماء قد استغلوا الطبيعة والكيمياء والهندسة وما اليها ، فأثروا بالكهرباء وقالوا لها كوني نوراً فكانت ، كوني ناراً فكانت ، كوني حركة فكانت المحركات تسير في ركابها القاطرات والسيارات والطائرات ، كما تدير الآلات ، تعمل ما يعملها الانسان بيديه وما لا يستطيع ، ولكن بقوة وعزيمة ودقة قاربت حدود الكمال .

ثم أتى الى الأمواج اللاسلكية ، وجعلها رهن ارادته ، فاذا المستحيل ممكن بل واقع ، واذا الانسان يمتلأ بها الجواء ، تحمل له الأنباء والأخبار والصور . واتجه العلماء الى الانسان وجسده فتمكن العلم من كشف بعض أسرار الحياة وقواعد الصحة وأسباب الأمراض

ووسائل العلاج ، ففتنن في صنع الأدوية والأمصال ، واستخرج
من الغن البنسلين والفينسلين وغيرها ، فأتى بالعجب العجاب من
فتك بالجراثيم والأمراض وابتادة آثارها وما تلحقه من آفات .
ولم يقف الغرب عند هذه الحدود ، بل أقام الزراعة والفلاحة
والاقتصاد والتجارة والتعليم والسياسة على أسس من العلم ، فدانت
هذه لما ربه وغاياته ، فنجم عن ذلك تقدم مادي لم يخطر على بال
انسان .

واقترح العلماء الصعاب ، وطرقوا المستحيل من الأبواب ، فاذا
الناس حيارى ذاهلون من التقدم العجيب الذي أصاب البحوث
الذرية ، فالذرة المنيعه التي بقيت مستعصية على جبابرة العقول ، قد
صدعت للعلم واساليبه بعد مقاومات عنيفات شديدا ، فتهدمت
معادل الذرة وتحطمت ابوابها ، فاذا الهول ينبع منها ، والدمار يتدفق
من ثناياها ، واذا العالم امام عصر جديد هو عصر الذرة ، وهو في
الواقع بداية لتحول خطير في العلم وتطبيقاته التي ستكون لها آثار
بعيدة في سير الحضارة واتجاهاتها ومفهومياتها .

وكذلك توجه العلم في الغرب الى الشرق ، فدرسه وخبر أحواله ،
ورأى ان من حقه استعمار واستغلاله كما يستغل الأرض ويستعمرها .
وهكذا كان وهذا ما هو جار الآن ، فاذا الشعوب كالحديد والنحاس ،

تستغل لحساب الأمم ذات القوة والبأس ، وتسخر لمصالحها وغاياتها .
ذلك لأن الغرب سار على مقتضى العلم يستخدمه في الحياة والعمران ،
بينما الشرق بقي بعيداً فلم يسر في حياته وفق العلم ، ولم يدرك بعد
ان العلم هو الذي يدفع الأمم دفعاً في مضمار التقدم ، وان لا حياة لأمة
تعيش بعيدة عن العلم وآثاره ، ولا كيان لشعب لا يؤسس حياته
على العلم ، فهو مفتاح النهوض ، وهو أسّ الارتقاء في معارج المجد
والخلود .

هذا هو طابع المدنية - طابع العلم - الذي دخل في صميم الحياة
في الغرب ، وانبتت حقائقه في شؤونه ، العملية منها وغير العملية .
هذا هو الوجه اللامع في الحضارة الحالية . ولكن مهلاً ...
هناك ناحية ضعف أدت الى ما نراه في المدنية من افلاس ، ومن عدم
ملاءمتها للحياة الهادئة القائمة على قواعد الخلق والروح والفضائل .
لقد استغل العلماء العلم بعيداً عن قوى الروح والقلب ، فأعلوا
من شأن العقل والعلم علواً كبيراً ، وحكموا العقل في القلب كما
حكموا العلم في الدين ، فنتج عن ذلك ما نراه من فوضى خلقية
وحروب طاحنة رهيبة ، فاستأسدت الغرائز واسرفت المطامع ، فاذا
آلة العلم نتجته نحو التدمير والتخريب والفتك والتقتيل ، حتى اصبحت
القوة مقياس تقدم الأمة وعظمتها . ولو تدخل القلب واتجهت آلة

العلم نحو البناء والاثمار والخير والكمال ، لسمت المدنية وارتفع شأن
الانسانية ، ولسار العلم في خدمة الحياة واعلاء مقامها .

ومن هنا يتبين ان الأمم لا تصلح الا بالعلم السائر مع القلب
والخلق وان التقدم الذي وصل اليه الانسان - وقد توافرت فيه
اسباب الرفاهية والرخاء - لم ينبج الانسانية من المصائب المحيطة بها ،
ولا من الأهوال التي تنصب عليها .

هل قضى هذا التقدم على المشاكل العديدة التي يعانيتها المجتمع ؟
الواقع المشاهد ان المدنية الحديثة قد زادت المشاكل تعقيداً
والتواء ، كما سلبت العالم راحة البال وطمأنينة النفس ، ذلك لأن
حكمة الانسان قد قصرت عن تشقيف الرغبات والنوازع الانسانية ،
غير حاسبة حساباً للخلق العالي ومعاني الحق والواجب والمثل العليا .
والذي يخشاه كبار الفلاسفة ان الحكمة البشرية اذا افلست في
النهوض بعبء ادماج العلم في أغراض الروح والخلق ، استمرت هذه
القوى في اتجاهها نحو التدمير ، وهددت بزوال ما بقي من معالم
الحضارة وآثار الفكر والعقل .

وعندئذ يسكن العقل المصنع ، ويطغي العلم على القلب والماديات
على المعنويات فتبقى الحضارة على مشاكليها ، والناس في قلقهم ،
والافكار في اضطرابها ، وتتضاعف متاعب الانسان وتزيد تعقيداً

فلا يخرج من فوضى الا ويحابه فوضى انكى واشد ، فلا راحة ولا امان ، ولا سلام ولا اطمئنان . وعلى هذا فالعلم وحده لا يكفي لوضع حد لشور العالم وآثامه ، والعلم وحده لا يكفي للخلاص من الصعاب المحيطة به من كل جانب . يجب ان يقوم العلم على عناصر روحية ومعنوية تعلي من شأن المثل العليا والأخلاق الفاضلة ، كما يجب ان تقوم الحضارة على المعنويات وتوفق بين العلم والروح كما تلائم بين العقل والقلب .

والحياة لا تكون آمنة ، يسودها رحمة وسلام ، اذا طغى العلم على الارواح والاضاع ؛ بل انها لا تكون نامية رائعة اذا لم تسر على وحي القلوب ، ولن يستطيع الانسان ان يرد عن الحياة الآثام والشور والمناسد اذا حكم العلم وحده منصرفاً عن معاني الخير والجمال .

ان في العلم قوة عظيمة ، اذا لم تحط بسياج من الخلق والروح انقلبت الى قوة هدامة مدمرة . وعلى المفكرين ان يعملوا على حفظ هذه القوة ضمن هذا السياج ، لتجني منها الانسانية قوى الخير والبناء والاثمار .

وعلى المفكرين والمعاهد والمهيمين على التربية والتعليم ان يحاولوا المساهمة في هذا السبيل ويسيروا بجهودهم في طريق ادهاج

العلم في اغراض الروح العليا ، حتى يعرف النشء كيف يعيشون وكيف يقومون بواجبهم ويؤدون رسالتهم بنفحات روحية وعلى أساس من الخلق متين .

يجب ان يسير التوجيه في المعاهد والمؤسسات التربوية على أساس ان العلم ليس كل شيء في الوجود ، وكذلك الأخلاق والمعنويات ليست كل شيء في الوجود ، وان العلم مع الأخلاق والمعنويات هي كل شيء ، وبها تغزر الحياة وتزدهر .

ان من الواجب الحتم على المسؤولين في سائر الأقطار العربية ان يعملوا على اخراج جيل يؤمن بالعلم والخلق وبحق العرب في الحياة الكريمة ، كما عليهم ان يجعلوا المناهج عملية ذات أثر فعال في تكوين الشباب وانماء القابليات فيهم ، وزرع الايمان بالمستقبل والتقدم المستمر ، فيخرجون الى الحياة وهم يحملون رسالة التقدم والنمو وفكرة الشعور بالمسؤولية تجاه المجموع ، وقد آمنوا بأنهم عماد أمتهم ، بهم يرتفع شأنها وبهم تقوى ويشتد ساعدها ، وتتجدد حيويتها ، وانهم من وثبات مجدها ومن خفقات قلبها ، وان أغزر الناس حياة وأنجحهم أكثرهم تقيداً بأساليب العلم وطرقه وأعمقهم تفكيراً وأنبههم شعوراً وأصلحهم عملاً ...

ان الجماعة انما تصلح بالخلق والضمير والعلم معاً . وان النفوس

لا تقوى الا بتذليل الصعاب ومجابهة المتاعب والعقبات والأخطار ،
وان من يقف أمواله وأيامه وجهوده على امتاع نفسه لا يعرف الحياة
لأنه لا يعرف الوطن .

وأخيراً ، ان العلم لا يزكو ولا يشمر ولا يصبح أداة خير و بناء
واصلاح الا على أساس من الروح والخلق العالي ، وان الرجل العظيم
هو الذي يرشد بالمعرفة والعطف ، لا من يستغفر بالتحكم والبطش ،
وان أعظم الجماعات أكثرها اتباعاً للعلم وأقواها قلباً ، وأحياها ضميراً .

نقطة التحول

(١)

بداية المعرفة والفهم

ان الكارثة التي أصابت العرب في فلسطين قد أزالَت الغشاوة عن الأعين وأزاحت بعض الغبار العالق بالعقل العربي ، فتكشفت الحقائق ، وانكشفت أمور أذهلت الناس وتركتهم في غيبوبة من هول الصدمة التي أصابتهم .

والعرب - وقد بدأت اليقظة تتحرك فيهم ، والوعي ينمو في عقولهم - راحوا يفكرون في الحال التي وصلوا اليها ، ويدرسون العوامل التي أدت الى الهزيمة .

لقد تخيل للعرب انهم يستطيعون مقاومة اليهود ودحرهم ، وان هزيمتهم قريبة المنال لا تحتاج الى كبير جهد أو عناء ، فساروا في مقاومتهم على هذا الأساس ، ونسوا ان الحديد لا يفله الا الحديد ، والعلم لا يقابل الا بالعلم ، والتنظيم لا يقاوم الا بالتنظيم ، فانتصر

عليهم الأعداء . وليس غريباً ان ينتصروا وان يكون انتصارهم
ساحقاً ، بل الغريب ان يكون الأمر خلاف ذلك ، فينتصر العرب
وأسلحتهم ما نعرفه من جهل وغرور وفوضى ، وينهزم الأعداء
وسلاحهم ما نعرفه من علم وفهم وتنظيم . وكيف يمكن للعرب ان
يحالفهم النصر وهم لا يملكون من أدواته شيئاً . فان فشل الذي
أصاب العرب في فلسطين ، نتيجة حتمية للأوضاع ، وللسياسة التي
سار عليها المسؤولون ، وللاسلحة التي استعملها العرب في كفاحهم
ضد الأعداء والمستعمرين .

وكان من نتيجة ذلك كله ان غمرت العرب امواج من الآلام
النفسية وغير النفسية ، واستولى عليهم القلق ، واحاطتهم القوضى
من كل جانب ، فاذا هم في بحار من المشاكل المادية والمتاعب
المعنوية ، أدت الى الشك بالقابليات ، وفقدان الثقة بالمستقبل ، مما
ينذر بشر مستطير قد يودي بالحيوية والمواهب .

وهنا تبدأ نقطة التحول في العقلية العربية ، فان في هذه الآلام
ما يدل على ان العرب بدأوا يتعرفون على مواضع النقص فيهم ،
ويكشفون عيوبهم بأنفسهم ويتلمسون مواطن الضعف في
تصرفاتهم وحركاتهم .

وهذا - كما أرى - بداية المعرفة والفهم الذين يستحيلان مع

الأيام الى فكرة ، فعاطفة ، فارادة: فكرة النهوض وتغيير الأوضاع ،
وعاطفة الاندفاع لخلاص البلاد وانقاذها ، و ارادة العمل والاصلاح
والبناء . ومن هنا يتكون أسلوب الحياة - وهو أسلوب السكفاح
والنضال في سبيل تحقيق هدف نبيل ، هو خلاص الوطن ، وغاية
سامية هي السير بالبلاد في ركب الانسانية مع الصالحين المنتجين .
ويدعوني الاخلاص الى التصريح بأني لا أتشاءم من الآلام
المستحوذة على النفوس في هذه الايام ، بل أرى فيها بوادر وعي
ونقطة تحول في التفكير ، وبداية فهم للأوضاع وغيوبها ، مما يحفز
المتألمين الى العمل ، والسعي لاصلاح المجتمع والتخلص من النقائص
ونقاط الضعف .

لقد بدأ العرب - كما يتجلى في اتجاهاتهم في سائر ديارهم -
يدركون ان الاستقلال والحياة الكريمة في هذا العالم لا تأتي عفواً ،
ومن دون ثمن . فلهذه مقدمات وتمهيدات تقوم على العلم والحرمان .
ان التفاؤل قد وجد مقاماً في نفسي حين لمست ان العرب
- بعد الكارثة - أصبحوا يدركون ما للعلم من أثر في النهضة
وفي كسب الحرب والسلام على السواء ، وحين ثبت لديهم انه لا
يمكنهم المحافظة على كيانهم ومقاومة الاخطار التي تنصب عليهم من
الغرب والاستعمار ، الا اذا تشربوا روح العلم ، وساروا سيرته ،

واتبعوا طريقته ، وتقيدوا بأساليه فبدأوا يبذلون الجهد والاموال في التعليم ، وعلى نطاق عريض ، كوسيلة من وسائل النمو ، والتقدم . وقد سبق في غير هذا المكان ، ان أوضحنا الاسس التي يجب ان تركز عليها مناهج التربية والتعليم ، لضمان النمو المتواصل ، والتطور المستمر ، وتنمية القابليات ، والشعور بالمسؤوليات .

*

ان العرب - بعد ان اصابهم ما اصابهم من كارثة فلسطين - بدأوا يتماسون النجاة ، والطرق المؤدية الى القوة ، لوقف الأخطار وازالة العقبات من طريق تقدمهم ، ذلك لان الأحداث قد علمتهم ان لا حياة لخامل وضعيف ، ولا كيان لجاهل وهزيل ، فكان اهتمامهم بالقوة عظيماً ، وراحوا يبحثون عن مصادرها ومنابعها في العلم والصناعة ، فخصصوا القسم الأكبر من ميزانية الدولة (في بعض الاقطار العربية ولا سيما مصر) للدفاع والتعليم ، وانشاء المصانع والمعامل ، وتشجيع البحث العلمي والانتاج .

وهذا وعي لم يكن ليحلم به العرب قبل حوادث فلسطين . ولست بحاجة الى القول ان هذا الوعي ينمو وهو يسير في الاتجاه السليم . ولكن لن يثمر الثمار الغزيرة ، ولن تكون له النتائج المرجوة ، الا اذا تحرر العرب من الماضي ومقاييسه ، وحرروا عقولهم

من التقييد بالأغراض المألوفة ، وكونوا لانفسهم أغراضاً جديدة ،
ووضعوا العلم في المقام الأول من حياتهم ونشاطهم .

لقد تبين ان عدم تقيد العرب بالعلم واساليبه التطبيقية ،
وجعلهم أثر الرقم في الحياة والعمران ، قد ادت الى الارتجال الذي
تغلغل في اعمال العرب في سائر نواحي نشاطهم وحركاتهم ، فكان
الطابع الذي تميّزوا به ، ومن العوامل الرئيسية التي اشاعت الفوضى في
قضاياهم ، واتجاهاتهم ، واهدافهم ، وجعلهم يتخبطون في حل مشاكلهم ،
فوقعوا في الهوة التي حفروها لانفسهم بالجهل والغرور والارتجال .



لقد بدأ العرب يؤمنون بان العلم واسلوبه من عوامل التقدم
والعمران ، وان الرقم والعقليات الاحصائية من ادوات النصر
والمقاومة الناجحة ، كما اصبحوا يدركون ان الامة التي لا تسير في
قضاياها ومعاملاتها على الاسلوب العلمي ، ولا تجعل من الرقم
والأحصاء قاعدة حياتها ، لا يمكنها ان تقاوم عوامل الفوضى
والانحلال ، ولا تكون جديرة بالحياة الكريمة الفاضلة . بل انها
بالعلم والرقم والاحصاء تتحرر من الفوضى وتتخلص من الارتجال ،
وتقاوم الاستعمار بألوانه واشكاله ، وتتمكن من النمو والتقدم والسير
في ركب الحضارة .

وفي رأيي ان العرب اذا ساروا في حياتهم على أسس من العلم والرقم والاحصاء ، وتقيّدوا بالاساليب العلمية ، فسيؤدي بهم هذا السير الى مفاهيم جديدة تدفعهم الى التكتل والاتحاد والانتاج المشترك في الميادين الاقتصادية والثقافية والاجتماعية .

*

بذلك يتمكن العرب من النهوض من كبوتهم ، واسترجاع بلادهم وكرامتهم . وبذلك يحافظون على حقهم في الحياة ، ويقاومون عوامل الفناء والابادة ، ويعيشون في صميم الحياة (لا على هامشها) صالحين منتجين .

*

وخلاصة القول : ان العرب - وهم في بداية وعيهم ، وعلى عتبة يقظتهم - قد بدأوا يدركون أهمية العلم والأسلوب العلمي والرقم في الحياة والكفاح والعمران . وهنا تبدأ نقطة التحول في تفكيرهم واتجاهاتهم . ويجب ان يفهم العرب انهم اذا ارادوا ان يعيشوا في القرن العشرين احراراً منتجين عاملين ، عليهم ان يعيشوا بالعلم وعلى أسس من الارقام - كما سبق القول - ويسلموا زمانهم امورهم لعقليات علمية تقدر أهمية العلم والنظام والرقم ، وتعرف كيف تسير بالمجتمع العربي في طريق النمو والتقدم ، وتخرج به من الظلمات والنحول الى النور والحياة.

نقطة التحول

(٢)

الامكانيات في البلاد العربية

لقد سبق أن تناولنا في فصول سابقة الكارثة التي حلت بالعرب في فلسطين والعوامل التي أدت إليها ، كما بحثنا في العلاج والأركان التي يقوم عليها البناء والنهضات ، وكيف ان الكارثة قد أزالنا بعض الغبار العالق بالعقل العربي ، وكيف انها كشفت الحقائق ، وجلت الامور ، وأثارت سبل البناء المثمر ، وطريق الكفاح المنتج ، مما دفع العرب في سائر ديارهم الى تلمس الوسائل البنائية التي يتمكنون بها من مقاومة الاخطار المحدقة بهم من كل جانب ، ومسايرة الحضارة في تقدمها وركبها .

وهنا تبدأ نقطة التحول . فلقد تبين ان الاساليب الماضية التي سار عليها العرب في كفاحهم ، كانت من العوامل التي أدت الى الكارثة ، وان عليهم تغيير هذه الاساليب واحداث انقلاب فيها

على أسس من العلم والتنظيم والرقم . هذا اذا ارادوا الخلاص
وانقاذ البلاد .

والآن ... بعد أن بدأ العرب يفكرون جدياً في النهوض
من كبوتهم واسترجاع كرامتهم ، عليهم ان يتركوا سياسة القضاء
والقدر والاستسلام كما عليهم ان يتركوا الاعتماد على الضمير العالمي
والهيئات الدولية .

قد يكون للعرب بعض العذر في عدم اندفاعهم . فهم لا
يزالون في ذهولهم ، ولا تزال بعض آثار الغيبة تخيم عليهم .
ولكن الاخلاص للحق والوطن ، يدفعنا الى الصراحة والقول ان
المصلحة الوطنية تقضي عدم استمرار الاوضاع ، كما تحتم الخروج من
الذهول والمجود الى الوعي والحركة .

*

على العرب ان يدركوا ان هذا العصر هو عصر الحركة
والسرعة . فمن لم يسر الى امام فهو الى الوراء يسير . ومن لم يسير
تيار التقدم في الصناعة وسائر مرافق الحياة ، تركه التيار مع المتأخرين
المتأخرين ، ويمكن الاعداء من استغلاله واستعماره ، ومهد لعوامل
الفناء ان تمنع فيه وتسرع في القضاء عليه .

والعالم الآن يعيش في جواء الصناعة وعليها . فهي الطابع الذي

يتميز به هذا العصر . والأمة التي لا تُعنى بالصناعة ، ولا تعمل على تنمية قابلياتها الزراعية والصناعية ، واستغلال امكانياتها في اعماق الارض ، لا يمكنها ان تعيش وتحافظ على كيانها وكرامتها .
ان العرب يملكون امكانيات واسعة عريضة ، بهرت الخبراء وأدهشت الفنيين . فلقد ثبت لدى الاجانب ان البلاد العربية غنية بامكانياتها المعدنية والنفطية ، وان العالم العربي يقوم على تربة تجري من تحتها أنهار من النفط تحوي اكبر كمية في الكرة الارضية كلها .

*

والواقع ان النفط هو من العوامل الرئيسية التي أدت (ولا تزال تؤدي) الى التنافس بين دول الغرب ، والى اهتمام هذه الدول بالشرق الاوسط ومحاولة السيطرة عليه .

والذي لا شك فيه ان للنفط علاقات مباشرة وغير مباشرة باستعباد الشعوب ، والنكبات التي نزلت بالعرب ، والمصائب التي انصبت عليهم . وعليه يقوم النزاع ، وبسببه تزدهم الاحداث ، وهو من أسباب الحروب الباردة منها والمهلكة .

ومن المؤسف حقاً ان لا يقدر العرب بلادهم ، وان لا يعرفوا امكانياتها ، وان يجهلوا سياسة الغرب النفطية ، فلا يلتفتون الى هذه الناحية الخطيرة ، وهم يصرفون أوقاتهم في الجدل الفارغ في جامعة

الدول العربية وغير الجامعة ، ولا يكلف المسؤولون أنفسهم البحث في النفط وامكانيات البلاد الواسعة ، واستغلال هذه الامكانيات فيما يعود على بني قومهم ووطنهم بالتقدم والرخاء والازدهار .

*

ان الغرب الآن يقوم باستخراج النفط على مدى واسع في بعض البلاد العربية ، وهو يستغل ذلك لمصلحه وغاياته ، وفي مقاومة تقدم العرب وعمران بلادهم . ولورجعنا الى الأرقام لهالتنا وكشفت عن الجهل السميكة الذي يزرع تحته المسؤولون في البلاد العربية قاطبة . فقد جاء في أحد التقارير التي وضعها جماعة من المهندسين الذين زاروا الشرق الأوسط لدراسة الامكانيات النفطية ما يلي : « .. ان صناعة النفط في الشرق الأوسط قد نمت نمواً عظيماً لا يتصوره العقل خلال السنوات العشر المنصرمات ، مما يثبت ان النفطات الراقدة تحت تربته هي أعظم نقاط الأرض طراً ... وان انتاج النفط العالمي قد مال من مدخره الرئيسي في أميركا الى الشرق الأوسط وسيستقر نهائياً في المناطق العربية . والخيريون الذين سبقونا الى درس هذه المناطق يتقدرون مجموع المدخر النفطي فيها بما يقرب من ألف مليون طن ... »

ولماذا نذهب بعيداً ونرجع الى هذا التقرير . فهناك الأرقام

المهوسة التي تتعلق بانتاج النفط في المملكة السعودية . فقد بلغ انتاج النفط عام ١٩٣٨ حوالى ٦٧٠٠٠ طن ، وبلغ المليونين عام ١٩٤٥ ، وسبعة ملايين عام ١٩٤٦ ، وارتفع هذا الرقم الى تسعة عشر مليوناً من الأطنان عام ١٩٤٧ . وصرح أخيراً أحد كبار موظفي المملكة السعودية بان معدل الانتاج اليومي في ثلاثة الأشهر الأولى من العام الماضي بلغ ٤٦١٥٤ طناً . ويقدر الخبراء ان الانتاج السنوي للنفط سيرتفع الى أربعين مليوناً من الأطنان في العام المقبل . هذا عدا ملايين الأطنان من النفط التي استخرجت من العراق والكويت ، والبحرين ومصر . وقد بلغت عام ١٩٤٨ حوالى ثمانية عشر مليوناً من الأطنان . ولقد كانت لنفط المملكة السعودية والأقطار العربية أثر كبير في الصناعة في أميركا وانكلترا ، وفي تقرير النصر للحلفاء .

ومن المؤلم ان نشير الى أن العرب لا يستفيدون شيئاً يستحق الذكر من هذه الامكانيات ، بل ان خيراتهم وتنتاجها تعود الى الشركات الأجنبية ودولها الاستعمارية . فالعرب لا ينالون من هذه الملايين التي تستخرج من بطون الأراضي العربية الا اليسير التافه . ولو كان العرب اكثر وعياً وفهماً للأوضاع ، وادراكاً لسياسة النفط ، لأحرزوا امتيازات جديدة ولأصابوا من كنوزهم ونفطهم أرباحاً

أوفر من الأرباح الهزيلة التي تجود عليهم بها الشركات والدول
الاستعمارية ، ولسخروا هذه الأرباح في التعمير والتعليم والاصلاح .
وأذكر على سبيل المثال ، ان خزينة المملكة السعودية تستقبل كل
يوم ما يزيد على مائة ألف دولار ، وهو ما يخصها من أرباح
البتترول . - هذا المبلغ اليومي (على الرغم من رقاه الستة) ضئيل
وتافه بالنسبة الى الأرباح الهائلة ذات الأرقام الفلكية التي تعود
على الشركات ودولها من النفط السعودي .

*

ان الامكانيات العريضة الواسعة التي تمتاز بها البلاد العربية ،
توجب على العرب ان يتجهوا بعقولهم وتفكيرهم وجهودهم الى
النفط ، فهم يعيشون على أرض غنية تجري من تحتها انهار من الذهب
الاسود السائل ، وتنتشر في ثناياها المعادن على انواعها والوانها .
ولسنا بحاجة الى القول ان استغلال هذه الامكانيات من حق العرب ،
وعليهم ان يستفيدوا منها ولا يستغلوها في تعمير بلادهم وتقديمها
وازدهارها . ولكن ذلك لا يتم الا بالعلم ، واتباع طريقته ، والاستعانة
(في بادئ الامر) بالعلميين الأجانب ، وتشجيع الثقافة الصناعية في
المدارس والمعاهد ، وارسال البعثات لدرس الصناعة وتقديمها في اوروبا
واميركا ، لينشأ جيل يدرك اهمية الصناعة في الحياة ، ويعرف كيف

يستغل امكانيات بلاده في البناء والتعمير والاصلاح .
ان السياسة النفطية يجب تقديمها على أي سياسة اخرى .
وعلى الجامعة العربية ان توجه عنايتها واهتمامها الى النفط وانتاجه
واستغلاله فذلك أجدى على العرب وأكثر فائدة ونفعاً .

*

ان تطور اكتشاف النفطات العربية في الأعوام الأخيرة
كان في رأي الكثيرين من العلماء والمفكرين من ابرز الأحداث
العالمية ، بل ان منهم من يرى فيها اهمية لا تقل خطورة عن تهشيم
الذرة واستخراج طاقتها .

ان النفط عامل رئيسي في تقدم الامم وعمرانها، وفي كسب
الحرب والسلم ؛ وهو عصب الدول ومصدر قوتها وعظمتها . ولهذا
على العرب ان يدركوا هذا كله ويعلموا انه من الجناية وقوفهم
بعيدين عن خيارات بلادهم وكنوزها من المعادن والبتترول لتكون
نهباً للأعداء والاجانب، يعمرّون بها بلادهم ويستخرجون منها
رفاهيتهم وعظمتهم ، ونحن لاهون بالسفاسف من الامور ، عاكفون
على توافه المشا كل .

ان تيار التقدم سيجرفنا ويقضي علينا ان لم نجر معه ونساير
حركته واتجاهاته . وعلى المسؤولين والشباب النير والمنظمات والهيئات

في سائر البلاد العربية ، ان يوجهوا انظارهم الى النفط ، ويدرسوا
سياسته، ووسائل السيطرة عليه بالعلم واسلوبه ونشر الثقافة الصناعية،
ليتمكن العرب من استخراج خيرات اراضيهم وكنوزها واستغلالها
في ميادين القوة والتقدم وال عمران .

نقطة الاندواء

الاعداد العلمي والاعداد المعنوي

الآن ، وقد وصلت حالة العرب الى ما وصلت اليه من فشل في الحرب وخذلان في دوائر هيئة الأمم المتحدة ، ومن ضياع لهيبتهم وجرح لكبريائهم وامتهان لكرامتهم من الكارثة التي حلت بهم في فلسطين - اصبح فرضاً محتوماً على المسؤولين ان يدرسوا عوامل هذه الكارثة ، والأساليب التي اتبعتها العرب وأدت الى الخسائر المبین في ميادين الحرب والسياسة لينتهجوا نهجاً جديداً ، ويسيروا في كفاحهم على أسس جديدة من تجنب للأخطاء التي وقعت ، وتغيير للأساليب التي اتبعت ، وادخال العلم في سائر مرافق الحياة والعناية بالدفاع وشؤونه .

لقد أبانت الكارثة ان الأساليب التي سار عليها العرب في جهادهم ارتجالية ، ينقصها العلم والرقم ، ويعوزها التنظيم والهدف ؛ فكانت الهزيمة التي مني بها العرب أجمعون في السياسة والحرب ،

وهي نتيجة حتمية لتلك الأساليب . وليس غريباً ان تكون النتيجة هزيمة وانكساراً ، بل الغريب ان لا تكون كذلك ؛ وذلك لأن العرب لم يكونوا يملكون من ادوات النصر شيئاً ، بل في واقع الأمر كانت اسباب الكارثة مهياة عندهم ، ولديهم ادواتها من جهل وغرور وفوضى وارتجال .

والعرب الآن ... وقد بدأت سحب الذهول التي خيمت عليهم تزول ، والضغط الذي ران على عقولهم وقلوبهم يضمحل ويتلاشى ، اصبحوا يفكرون في نقطة الابتداء كيف تكون ، وفي أي اتجاه يجب ان تتحرك .

وفي رأيي ان تكون نقطة الابتداء ملتقى اتجاهين يتحرك في احدهما الاعداد العلمي ، وفي الآخر الاعداد المعنوي والنفسي .

أما الاعداد العلمي فقد سبق ان اوضحنا أسسه واهدافه من بعث النزعات الارتقائية والشهوات التطورية ، والايمان بالاسلوب العلمي والرقم واذاعة الثقافة الصناعية والزراعية ، لينشأ جيل يؤمن بالتقدم والنمو ، وبرسالته في الحياة ، وقابليته في الانتاج والابداع ، ويعرف كيف يستغل تربة بلاده وما في بطونها من كنوز وخيرات .

ولسنا بحاجة الى شرح اهداف التربية والتعليم وغاياتهما ، فقد سبق ان عالجنهما في فصول سابقة . ولكن لا بد لنا من تأكيد

الاهتمام بالعلم ، ومزجه في سائر المرافق فهو من افعل الأسلحة التي تقضي على الفقر والجهل والمرض . وهو فوق ذلك الوسيلة الوحيدة التي يمكن تسخيرها للسيطرة على الطبيعة ، واستغلال الامكانيات الى ابعد الحدود فيرتفع مستوى الحياة بين الناس ، ويزدادون رفاهية وطمأنينة .

ان أولى واجبات الدول العربية ان توجه جل اهتمامها وجهودها الى العلم ونشر التعليم والروح العلمية ، فخلاصها يقوم على ذلك . ولن يشاد كيانها في هذا العالم المتحرك الا اذا اتبعت اسلوبه وتشبعت بروحه ، واذاغت رسالته .

وعلى الدولة ان تعنى بالبحث العلمي وتشجيع الدراسات العلمية وانشاء مجلس أعلى للبحوث العلمية . وعلى المسؤولين ان يمدوه بالمال وان يسهلوا له الحصول على ما يحتاجه من أدوات وآلات ، فهو الذي يعبد الطريق لاستغلال امكانيات البلاد ، وهو الذي يوجه الصناعة التوجيه العلمي المثمر ، ويرشد الى انتج الوسائل لاستخدام القوى الطبيعية ، وتسخيرها لخدمة المجموع ، فتنمو الثروة القومية ، وتزداد الموارد ، فتعم الخيرات البلاد ، ويرتفع مستوى المعيشة فيها ، وينتشر في ربوعها الامن والرفاهية .

ولقد أدركت مصر قبل غيرها من الدول العربية أهمية العلم

وأسلوبه في الحياة والصناعة ، فأنشأت مجلساً أعلى للبحوث العلمية والصناعية ، وعهدت بإدارته الى شخصيات علمية لها مكانتها ومقامها . والأمل كبير ان يثمر هذا المجلس الثمار المرجوة لتقدم الصناعة واستغلال امكانيات البلاد ، وتنمية مواردها وثروتها . ولا يقف الأمر عند هذه الحدود ، بل قام في مصر من يدعو الى الاشتراك في كل تنظيم دولي يقصد به الاشراف على استخدام الطاقة الذرية ، فيكون لنا - كما يقول الدكتور علي مصطفى مشرفة باشا - « .. علم بهذه الطاقة وأوجه استغلالها ما يجعل لمصر كلمة مسموعة في المحافل الدولية . وعلمنا أيضاً ان نعى باستخدام هذه الطاقة في مرافقنا الاقتصادية والعمرانية ، وان نساهم في ذلك بجهود علمائنا ومهندسينا ، فلا نأتي في الذيل اذا رتبت الأمم ، بل نتبوأ مكاننا كشعب يحفل تاريخه بكل مجيد في ميدان العلم والعمران » .

والذي نرجوه ان يقوم بين الدول العربية تعاون وثيق في وضع البرامج التعليمية ، ورسم سياسة موحدة في المناهج الثقافية ، بحيث يتسع المجال أمام الطالب العربي لينعم بثقافة علمية في الجهة التي يختارها ؛ كما يجب ان يقوم بينها نوع من تنسيق الأعمال في الجامع ومجالس البحوث العلمية ، فتبادل المعلومات ، وتستعين بآراء النابهين واللامعين ، وتسترشد بتوجيهات المختصين من علماء العرب

بقطع النظر عن القطر الذي ينتمون اليه .

*

ونترك الاعداد العلمي ونوجه الأنظار الى الاعداد المعنوي
والنفسى الذي أشرنا اليه في أول المقال .

على المسؤولين والهيئات الاهتمام بالاعداد المعنوي والنفسى ،
بتوجيه الأمة لقبول الحرمان والتضحيات بكل ما تملك في سبيل
خلاص الوطن والدفاع عن البلاد . والأمة التي ترضى بالهوان
يعصف بها والمصائب تنصب عليها ليست جديرة بالحياة ، بل ان
مصيرها الانحلال والانهيار .

والأمة التي لا تتحرك لما ينتابها من رزايا وتقف جامدة أمام
الأحداث وعوامل الفناء التي تمنع فيها ، لن تقوم لها قائمة ولن
ينتصب لها كيان ، وهي تحفر قبرها لنفسها بنفسها ، وتمهد لزوالها
من الوجود كجماعة ذات رسالة وكرامة .

والعرب - وقد اصابهم ما اصابهم في كارثة فلسطين - عليهم
ان يتحركوا ، وان لا يقبلوا ما حل بساحتهم اذا ارادوا حياة وكياناً ،
واصبح من الحتم على المفكرين والمتقنين ان يعملوا على تجنيد الامة
نفسياً وعامياً لمعركة الحياة .

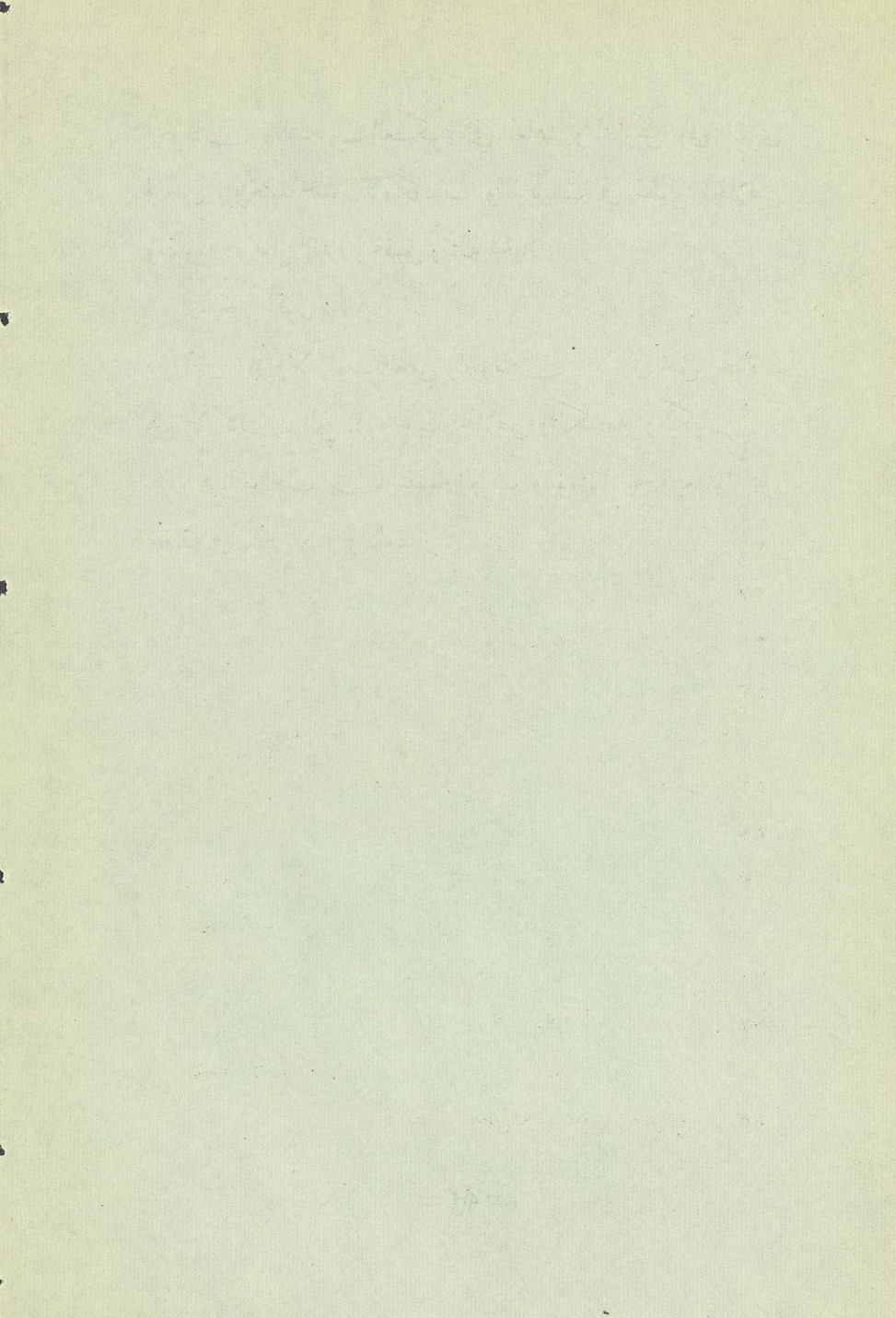
لقد آن للعرب ان يدركوا ان الاستقلال والحياة الكريمة في

هذا العالم لا تأتي غفواً ومن دون ثمن ، فلهذه مقدمات وتمهيدات تقوم على الاعداد العلمي والاعداد المعنوي والنفسي ، وعلى الحرمان والايمان بحق الحياة ، وهم لا يستطيعون المحافظة على كياناتهم وكرامتهم الا اذا وطنوا أنفسهم على الحرمان من كثير من الكماليات والاكتفاء بالضروريات . وها هم الانكليز قد أنتقنوا صناعة الحرمان واعتنقوها مذهباً ، حين شعروا ان كياناتهم الاقتصادية مهدد ، وان هذا الكيان لا يشاد الا على حساب الكماليات في الحياة . فكيف بنا وكياننا (كموجودات) معرض للفناء والابادة فالعلم والحرمان والايمان بحق الحياة ومسايرة روح العصر في التقدم والارتقاء كل هذه من العوامل التي يحتاج اليها العرب في بدء كفاحهم ليمكنوا من النهوض واسترجاع ما اقتطعه الاعداء من بلادهم ، والمحافظة على حقهم في الحياة الحرة الكريمة .

لهذا فمن أوجب الواجبات على المفكرين وأصحاب الامر في الدول العربية ان يستعدوا للمستقبل ، وان يقوموا بحشد العقول والمواهب وتوجيهها توجيهاً سليماً مثمراً ؛ جاعلين نقطة ابتداء كفاحهم ملتقى اتجاهين يتحرك في احدهما الاعداد العلمي والعقلي ، وفي الآخر الاعداد المعنوي والحرمان ؛ فتنذل الاموال وتوجه الجهود الى التربية والتعليم ومزج العلم واسلوبه في الحياة في سائر مرافقها ، والدعوة الى

الحرمان والتدريب العسكري في المعاهد والمدارس وفي القرى والمدن ، وتجنيد جميع الامكانيات والقابليات في سبيل الخلاص ومقاومة عوامل الفناء وتحقيق رسالة الحياة .
واخيراً أقول :

ان العلم والاسلوب العلمي والحرمان والايمان بحق الحياة - هي الاركان التي يقوم عليها الخلاص والكرامة والكيان .
هذا ما يجب ان يتفهمه العرب ويؤمنوا به ويعملوا على تحقيقه في سائر الديار والامصار .



فهرست

•

٣	هذا الكتاب
٥	حول عدم صلاحية العرب للحياة
١٤	العرب بين الغرور والشعور بالنقص اركان البناء :
٢١	التربية والمدرسة
٢٧	الصناعة المقدسة
٣٥	المناهج وخطوطها العريضة
٤٣	ابواب الفهم العلم والحياة :
٥٢	حاجة العرب الى الاسلوب العلمي
٥٧	الرقم اساس الحياة
٦٣	موقفنا من العلم نقطة التحول :
٧١	بداية المعرفة والفهم
٧٧	الامكانيات في البلاد العربية نقطة الابتداء :
٨٥	الاعداد العلمي والاعداد المعنوي

للمؤلف

- (١) تراث العرب العالمي
أصدرته المقتطف بمصر عام ١٩٤١
- (٢) نواح مجيدة من الثقافة الاسلامية
بالاشتراك مع جماعة من المؤلفين المصريين
أصدرته المقتطف بمصر عام ١٩٣٦
- (٣) الكون العجيب
من سلسلة اقرأ رقم ١١
- (٤) الاسلوب العلمي عند العرب
أصدرته كلية الهندسة بجامعة فؤاد الاول
بمصر عام ١٩٤٦
- (٥) بين العلم والادب
أصدرته مطبعة فلسطين العلمية بالقدس
عام ١٩٤٦
- (٦) جمال الدين الافغانى
أصدرته مطبعة بيت المقدس عام ١٩٤٧
- (٧) العيون في العلم
من سلسلة اقرأ رقم ٧٥
- (٨) بعد النكبة
أصدرته دار العلم للملايين في بيروت
عام ١٩٥٠
يصدر قريباً كتاب (الخالدون العرب)

صدر حديثاً

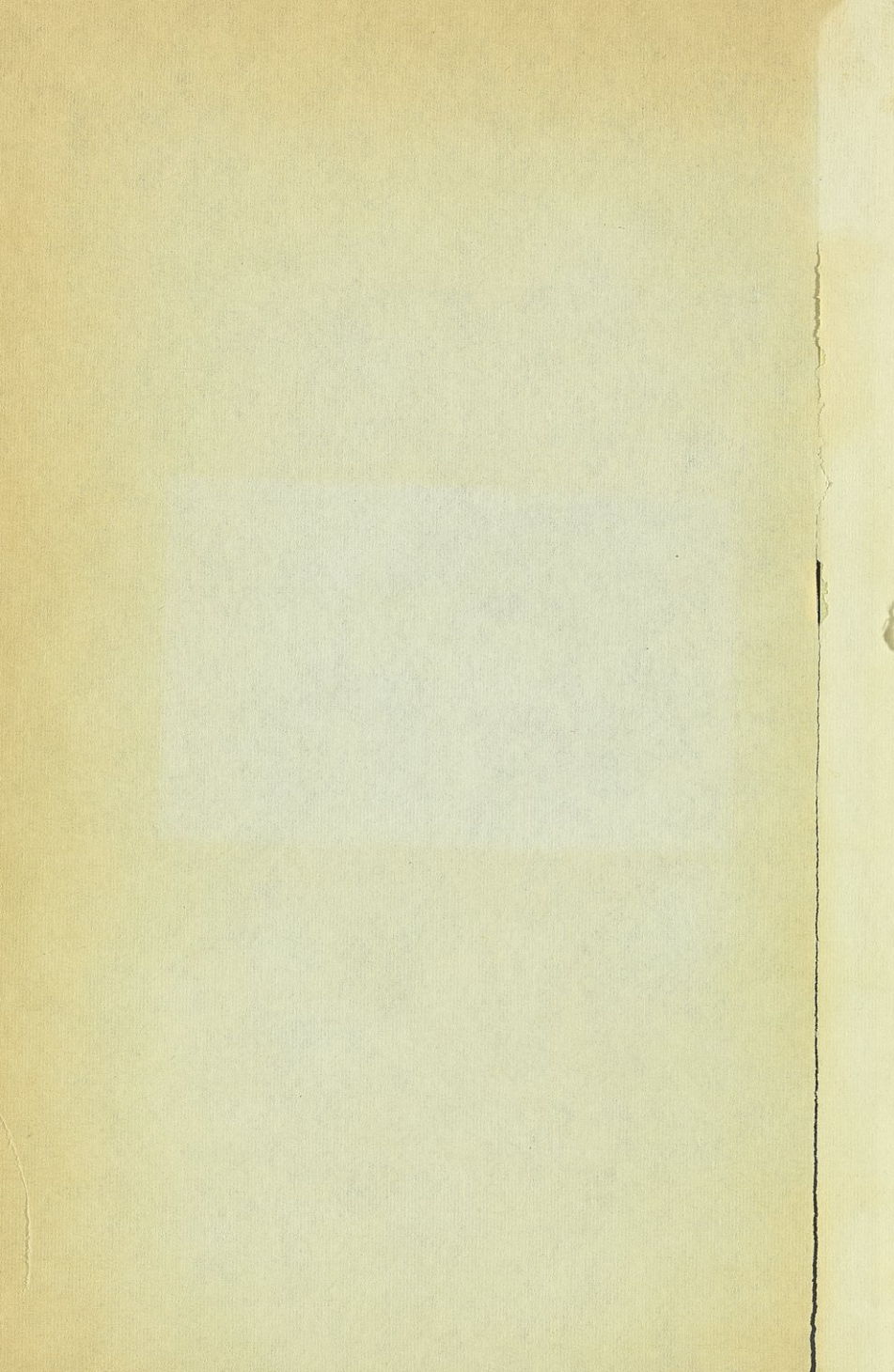


يوميات هالة السيدة سلمى الحفار
سامبا (شعر) للاستاذ نزار قباني
تاريخ الشعوب الاسلامية بروكلمان
(خمسة أجزاء)

غيوم عربية الدكتور نبيه فارس
بعد النكبة للاستاذ قدري حافظ طوقان

يصدر قريباً

برقة : الدولة العربية الثامنة للاستاذ نقولا زيادة



LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY



32101 072245051

(NEC)

DS126

.9

.T873

1950

دار العلم للملايين

كتب العرب والاسلام

ق. ل.

- | | | |
|-----|------------------------------|-------------------------|
| ٤٠٠ | للدكتور فيليب حتي | العرب |
| ١٥٠ | ترجمة الدكتور عمر فروخ | الاسلام على مفترق الطرق |
| ١٥٠ | للدكتور نبيه فارس | العرب الأحياء |
| ١٠٠ | للدكتور نبيه فارس | غيوم عربية |
| ٥٠٠ | ترجمة صلاح الدين المنجد | رائد التراث العربي |
| ٢٥٠ | علي ناصر الدين | قضية العرب |
| ٣٠٠ | عبدالله العليلى | أيام الحسين |
| ١٥٠ | ساطع الحصري | صفحات من الماضي القريب |
| ١٠٠ | الدكتور قسطنطين زريق | معنى النكبة |
| ٢٠٠ | ترجمة الدكتور عبدالرحمن بدوي | روح الحضارة العربية |
- تاريخ الشعوب الاسلامية لبروكلمان :

- ٣٠٠ ١ - العرب والامبراطورية الغربية
- ٤٠٠ ٢ - الامبراطورية الاسلامية وانحلالها
- ٣٠٠ ٣ - الاتراك العثمانيون وحضارتهم
- ٣٠٠ ٤ - الاسلام في القرن التاسع عشر
- ٥ - الدول الاسلامية بعد الحرب العالمية الاولى (يظهر قريباً)